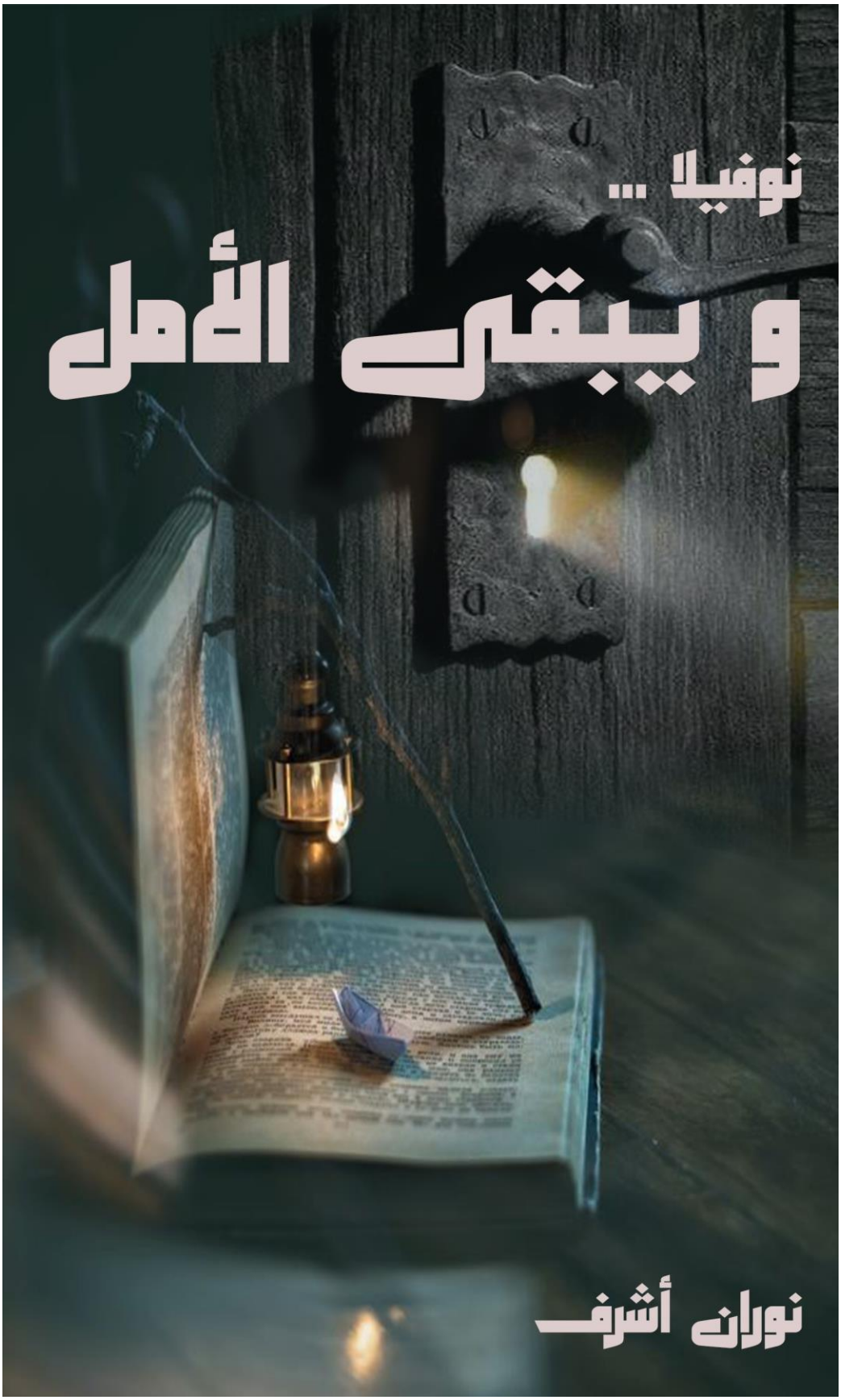
نوفيلا ...
و يبقى الأمل
نوران أشرف

المقدمة

قطرات من الودق تتساقط على الزجاج بغزارة حتى أحالته للون الأبيض، وفي ليلة شتوية شديدة البرودة وشديدة الهدوء، كانت تلك الأصابع الصغيرة ترسم على الزجاج باستخدام بُخار المياه الذي أمكنها من رؤية ما ترسمه.

تنعكس بشرتها الخمرية وعينيها البندقيتين على لوح الزجاج الذي أبرز ما تحتويه تلك الفتاة الصغيرة من شجنٍ يعتمر قلبها، فهي لا ترسم من أجل مليء فراغها والمُتعة، هي فقط تستخدم الرسم كحركة تستقطب بها عقلها الصغير كي يبتعد عن تلك المعارك التي تدور بذهنها، فمن قال أن الصِغار لا تفهم أن الحياة قاسية، فالحقيقة أنهم ينسجون واقعهم بواقع بريء حتى تصدمهم الحياة بحقيقتها وتجبرهم على الانصياع لقراراتها رغم نعومة أظافرهم وبراءة ملامحهم ... فالواقع المرير لا يُفرق ما بين كبيرٍ وصغيرٍ ... فالكل ينال شِقًا من الضيق، والكل ينال شِقًا من الألم ... لكن الطريقة هي فقط ما تختلف...

-إيه إللي مضايقِك ؟

خرج هذا السؤال من والدتها بصورة حنونة جعلتها تخرج من قوقعة ضيقها وصمتها كي تلتفت لها وتعتدل في جلستها، أنكست رأسها الصغير لأسفل مع لمحات من الحُزن تتقاطر من عينيها وهي تُجيب:

-أنا عايزة أشترك في مسابقة الرسم

بان الضيق على ملامحها رغم أن الخبر ليس بهذا السوء..

-حلو ... إنتِ بتعرفي ترسمي و أكيد لو اشتركتي هتكسبي

قالتها والدتها بتشجيع وسعادة تعتمر قلبها، لكنها آجابت بأكتافٍ مُتهدلة وصوتٍ مُنكسر:

-بس أنا لو اشتركت هخسر

قالتها بخُذلانٍ وكأنها تعلم حقيقة العالم رغم صِغر سنها، وضعت والدتها أناملها الرقيقة التي احتوت وجنتا الفتاة كي تسألها بحاجبين معقودين:

-ليه بس بتقولي كدة ؟؟ ... إنتِ موهوبة

أبعدت الفتاة يد والدتها بضيقٍ وقد رفعت من نبرة صوتها قليلًا وهي تتحدث عن أسبابها التي تمنعها من تحقيق حُلمها:

-عشان مش هكسب ... أماني هي إللي هتكسب في الآخر زي كل سنة ... مع إني برسم أحسن منها، بس هما بيخلوها تكسب عشان مامتها الـ " super visor رئيسة القسم " وهي إللي بتكسّبها

أدلت كلماتها بتذمر وأعين تكاد تذرف الدموع، ربطت ذراعيها وهي تواصل الحديث بحسرة:

-أنا خلاص مش هرسم تاني ... محدش في المدرسة بيشجعني، كلهم بيقولو إن أماني بترسم أحسن

آرادت في تلك اللحظة أن تلقي بأحلامها وطموحاتها في سلة المُهملات، فلا وجود لطاقة داخلها كي تتحمل مكابد الفشل وهي لا تزال بأول الطريق، فالموهبة وحدها لا تكفي طالما هي بغابة لا يوجد بها سوى الوحوش التي تتكاتف سويًا ضد بقية الكائنات حتى تثبت لهم أنهم بلا فائدة، فهي مجبورة على دفن موهبتها لأن لا أحد سيكتشفها مهما مرّت الأيام..

بقيت على هذا الوضع حتى آحاطتها والدتها بذراعيها لتضمها أكثر حتى تلتصق بصدغيها وتتنعم بدفئها الذي يُغنيها عن تلك الليلة الباردة، كانت تُريد إزالة الدمعة المتلألئة عن وجنتها الصغيرة وترسم مكانها ابتسامة لطيفة تبعث الإشراقة بالنفوس، لكن مع الأسف، كيف تجعلها سعيدة وهي في ذاك العالم ؟

أيدت والدتها حديثها الصادق بنبرة هادئة حكيمة:

-أنا عارفة يا حبيبتي إن إللي عايزينه مش دايمًا يتحقق ... بس ده مش معناه إننا نوقف حلمنا

اعترضت حديثها بنظرة مستنكرة:

-أيوة بس_

قطعتها والدتها بصوتها الهاديء الرخيم الذي يحمل معه الثقة:

-عارفة ... هتقوليلي إن مفيش فايدة من إللي بتعمليه ... بس الكلام ده مش حقيقي ... مش معنى إن في حد حقق حلمه بدري يبقى هو موهوب وإنتِ لأ ... الناس يا حبيبتي نوعين ... في إللي بينجح من أول مرة ... وفي إللي بينجح بعد مرة واتنين وتلاتة وحتى عشرة ... المهم إنه هينجح في يوم من الأيام .... لأن الفشل مش معناه إن الواحد يجرب ويفشل ... الفشل معناه إن الواحد ميجربش أصلًا

تشابكت كلماتها الحكيمة داخل رأسها الصغير الذي آبى فهم هذه الكلمات العميقة، فهي لا تزال بالعاشرة من عُمرها حتى تفقه الطريقة المُثلى التي ستساعدها للتعامل مع تلك الحياة المُعقدة، التفت برأسها التفاتة صغيرة لتواجه والدتها وتسألها بنبرة بريئة:

-يعني إيه ؟

تنهدت والدتها أثناء محاولاتها للعثور على إجابة توُضح بها مقصدها، فكرت لبرهة قصيرة من الزمن انتهت باقتراحها:

-إيه رأيِك أحكيلِك حكاية حلوة ؟؟

رسمت بسمة هادئة على ثغرها وهي توافق والدتها وتعتدل بجلستها كي تنصت لها بامعان، فما هي إلا لحظات حتى بدأت تستمع إلى حكاية تجمع ما بين المثابرة والفشل والشجاعة...

حكاية تحتوي على الآلام، لكنها تحمل معها الأمل أيضًا...

الفصل الأول (خُذلان)

"إذا بحثت عن معنى الخُذلان، فستجدها تلك الأحاسيس العميقة والسيئة التي تعصف بالإنسان وتُصيبه بخيبة الأمل والضيق الشديد، أما أنا .. فأرى معنى الخُذلان يتمثل في أن أرسم طريقي ومُستقبلي حتى تأتي الحياة وتُمزق تلك الرسمة ... بل تحرك أقلامي حتى لا أرسم مُجددًا"

انتهت من تدوين تلك الكلمات داخل دفترها ذا الجِلد السميك والأوراق المائلة للون الأصفر، وثبت من فراشها البسيط لتضع دفترها داخل إحدى أدراج المكتبة وتنتشل بعدها الهاتف الخاص بها...

أزاحت خُصلة سوداء من شعرها تسللت على وجهها وكادت تخترق حدقتاها البنيتان اللتان اجتمعتا مع بشرتها الخمرية وجسدها الهزيل، أخرجت تنهيدة عميقة من جوفها وهي تتفقد هاتفها بثقلٍ وضربات قلبٍ مُتسارعة يمتطيها بعض اللهفة...

تلاشت تلك اللهفة ما إن انعكس ضوء الهاتف على وجهها لتظهر معاني الخُذلان التي كادت تجعلها تذرف بعض الدموع، فالحال لم يتغير ككل مرة .... واصلت تصفح الهاتف لتظهر صفحتها التي تحتوي على ستة عشر قصة لم يراهم سوى شقيقتها الصغرى رغم أنها تبذل مجهودًا جبارًا بكتابتهم .... خرجت من صفحتها لتفتح صفحة أخرى وترى ما جنته من طُرق الدعاية التي تدربت عليها جيدًا، فهي مُتخرجة من كلية التجارة بتقديرات مُرتفعة، وعلى الرغم من ذلك لا تجد وظيفة جيدة تناسبها ...

بعد بُرهة من تصفح الهاتف زاد شعورها بالضيق وفقدان الثقة، فمنشوراتها لا يتم نشرها، وعندما تنال فرصة النشر، لا يراها أحد وهذا ما يُصيبها بالجنون، فالجميع لا يتوقف عن الحديث عن تلك الكاتبة المدعوة بغادة المحلاوي، رغم أن كتاباتها تفتقر معايير اللغة، وأفكارها متشابهة.

تنهدت بضيقٍ أكثر ثم جلست أمام مكتبها تفتح حاسوبها الصغير وتبدأ التدوين بعبارة ...

"يتهافت الجميع على سِلع متشابهة لا تُضيف الجديد لحياتهم،وهذا فقط من أجل رغبتهم من الهرب من جحيم هذا العالم والاستمتاع بعالمٍ آخر لا يمت للواقع بصلة ولا يُضيف سوى عاداتٍ سيئة وأفكارٍ خاطئة، ربما يشعرون بالانتشاء كما الذي يخضع للممنوعات، فهو أيضًا يسعى للهرب من العالم ... وهو أيضًا يخضع لتلك التصرفات السيئة التي تتركها تلك المُسكرات" ...

قطع وصلة انغماسها بالتدوين صوت شقيقتها منة بعد أن طرقت الباب وأردفت بهدوء:

-أنا هروح الدرس ... عايزة حاجة ؟؟

وثبت الفتاة التي تُدعى حور من مقعدها لتتجه صوٌب شقيقتها قصيرة القامة نسبيًا ولها عينان بُندقيتان تُشبهها مع شعرٍ بُني مموج ينسدل على كتفيها، كانت تحمل معها حقيبة صغيرة ملأْتها ببعض الكُتب استعدادًا لدرسها، حيث أنها كانت بالثانوية...

إقتربت منها حور لتضع يدها بحنانٍ على كتِف شقيقتها وتُخبرها بتوصية:

-عايزاكي تركزي في الدرس و تذاكري كويس ... وإن شاء الله تبقي مُهندسة قد الدنيا

أنهت حديثها ببسمة حنونة مليئة بالأمل الذي أعرب عن مدى حُبها لشقيقتها، فهي لا تعتبرها فقط مجرد شقيقها، بل تعتبرها ابنتها التي ترعرعت على يديها منذ ماتت والدتهما...

رسمت منة بسمة هادئة على ثغرها وهي تردف بثقة:

-متقلقيش أنا قدها ... بس إياكي متنزليش الفصل إنهاردة، أنا عايزة أعرف إللي هيحصل

أنهت حديثها بسُبابة موجهة على وجه حور جعلت ابتسامتها تتسع وتوميء برأسها بمعنى أنها ستسجيب لطلبها، فشقيقتها الصُغرى هي أكثر من يدعمها بتلك الموهبة التي لا يعرف عنها أي أحد...

ما إن رحلت منة عن الحجرة وتأكدت حور أنها تركت المنزل حتى عادت مجددًا لتستوطن مقعدها وتعاود الكتابة، لكن هذه المرة ما قطعها هو صوت والدها الصاخب الذي وصل إلى داخل حُجرتها وجعلها تنتفض مكانها لترى ما يحدث....

وقفت أمام الباب تسترق السمع لوالدها الذي كان يهتف بصوتٍ حادٍ على الهاتف:

-يعني إيه مش هينفع أخدهم ... أسيبهم هنا لمين ؟؟...

_____

انتهت من درسها أخيرًا بعد أن كاد عقلها ينفجر من كم هذه المعلومات التي تُلقى عليها، طفقت تسير بضع خطواتٍ بعيدًا عن القاعة حتى قطعتها إحدى صديقاتها المدعوة بنيروز وفتاة أخرى تُدعى رنا، التصقت نيروز بمنة لتحادثها بوُدٍ قالت معه:

-مروحتيش إمبارح درس الفيزيا ليه ؟؟

آجابتها منة دون أن تُبدي أي عوالم بوجهها:

-لأ روحت، بس روحت حصة بليل

همهمت نيروز بتفهمٍ فتدخلت رنا بلهفة:

-طب بقولِك إيه ... شوفتي الرواية إللي نزلتها غادة ... دي رواية جامدة أوي لازم تقريها

كانت صديقاتها ممن يُحبن القراءة مثلها بالضبط، لذلك وجدت الرابط الذي يجعلها تتعرف على أصدقاءٍ مثلهن وتتحدث معهما عما تُحب، لكنها ما إن استمعت إلى اسم تلك الكاتبة حتى تغيرت ملامحها إلى الرفض وهي تقول:

-لأ ... أنا مش بحب الكاتبة دي و مش بحب رواياتها

شهقت كل من نيروز ورنا بغير تصديق من حديثها، فكأن إختلاف الرأي بالنسبة لهما يُعد جُرمًا لا يُغتفر:

-إيه !! ... إزاي بتقري ومش بتقريلها ؟؟

قالتها نيروز باعتراضٍ قابلته منة بثقة:

-هو مفيش كُتاب غيرها يعني ؟؟ ... بعدين أنا أختي بتكتب أحسن منها بكتير

رفعت رنا حاجبيها بغير تصديقٍ قالت معه:

-بجد !! ... أومل مش مشهورة ليه ؟؟

توترت منة قليلًا لأنها لا تعرف الإجابة، لكنها أردفت بالنهاية:

-عشان لسة مش لاقيا فرصتها ... بس والله لو قريتولها رواية واحدة هتكونو عايزين تقرو الباقي

قالتها ببعض الإلحاح المُبطن رغبة بمساعدة شقيقتها، لكن ما لاقته كان عكس توقعاتها بالمرة، فقد كانت كلًا من نيروز ورنا يرمقانها بلامبالاة حتى رفضا حديثها بأدبٍ مزعوم:

-لأ ... أنا مش بحب أقرا لناس مش معروفة ... مش بيكونو بيعرفو يكتبو

قالتها رنا وصدقت عليها نيروز مما آصاب منة بالغضب، فكيف يحكمون على شخصٍ دون أن يُجربوا حتى، فهذا بالضبط ما قالته حور، عندما قالت أن التجربة هي باب يخشى الجميع فتحه خوفًا من النيران التي يزعمون أنها وراء هذا الباب، رغم أن الحقيقة أن ما وراءه هو حديقة مليئة بالأزهار...

أسدلت السماء ستارها وحلّ الليل بعتمته في ذاك الطقس البارد، فكان الهدوء مُخيم على المكان حتى داخل ذاك المنزل البسيط الذي لا يُصدر منه سوى أصوات الملاعق التي تتضارب بالصحون الزجاجية أثناء تناولهم الطعام...

كانت منة تصب حدقتيها بإحدى أوراق المراجعة تحاول استذكار ما أخذته اليوم، أما عن حور فكانت تأكل ببطءٍ وبالها مشغول بما ستكتبه بقصتها حالما تنتهي من الطعام، أما عن والدهما الذي كان يتوسط الطاولة، فلم يكن يكف عن تبادل حدقتاه بينهما وداخله إحساس بالتردد لما سيقبل عليه ... يُريد إخبارهما بقرارٍ صعبٍ عليهما تقبله رغم أنه فوق إرادته، فهو حتى لا يعرف كيف يبدأ الحديث معهما...

-كفاية يا منة ... ريحي دماغِك شوية

قالها بحنوٍ بالغ كي تترك منة ما تفعله وتنتبه له:

-يا بابا عندي إمتحان بُكرة ولازم ألحق أخلص

قالتها بضيقٍ حمل معه التذمر من الضغط الذي يتحامل على أكتافها، فكل ما تفعله منذ بدأت هذه السنة هو المذاكرة بجدٍ حتى تضخم رأسها من كم المعلومات التي تقرأها باليوم..

وضع والدهما عطية يده على رسغ منة بهدوء يحاول أن ينتزع عنها أوراق المراجعة على أن يُعطيها إياهم ما إن تنتهي من تناول الطعام...

-معلش يا منة ريحي شوية ... كدة غلط عليكي

تنهدت منة بيأس وهي تستجيب لأوامر والدها وتُواصل طعامها بهدوء، مرُت برهة أخرى من الصمت قطعها عطية بوضعه للملعقة على الطاولة وتوقفه عن الطعام كي يردف بأهمية:

-ركزو معايا يا بنات عشان عايز أقولكم حاجة مُهمة

انتبهت حور لحديثه واغتابها بعض القلق من نبرته المترددة فسألت:

-في إيه يا بابا ؟؟

تنهد عطية بعُمق قبل أن يدلي قرارة بحرقة تعتمر صدره:

-أنا مُضطر أسافر وأسيبكم كام يوم

قطبت منة حاجبيها باستفسارٍ من حديثه:

-لوحدنا!!

التفت عطية ليُحادثها ويُفسر لها:

-لأ ... مش هينفع أسيبكم لوحدكم

زادت كلماته من حيرة حور فسألت:

-أومل هنروح فين ؟؟ ... وليه مينفعش نفضل لوحدنا ؟

أنكس رأسه لأسفل بحُزن وهو يُخبرهما ذاك الخبر السيء:

-الحكومة هتحجز على البيت عشان الديون إللي عليا ... وأنا مش هقدر أرميكم في الشارع_

قطعته منة بدموع مكبوتة داخلها ونظرة الأمل في عينيها:

-طب ما تخلينا نسافر معاك

كانت تترجاه بعينيها كي لا يتركهما يتجرعا براثن القسوة ويرحل، لكنه هدم آمالها بنبرة يآسة لطخت صوته:

-للأسف مش هينفع ... أنا لازم أسافر عشان مستقبلكم، وإن شاء الله هرجع متخافوش

تشدقت عيناه بحُمرة دامية كادت تذرف معها الدموع رغم أنه كبتها داخله بجدارة، مرُت بينهم برهة من الصمت يحاولان فيها استيعاب الأمر والتأقلم مع ذاك القرار الذي سيُغير حياتهم، تركت حور شوكتها وأنكست رأسها لأسفل وهي تُفكر في تلك الحياة التي تفاجئها للمرة المئة، فمفاجآت الحياة ليست سارة أبدًا، بل هي مفاجآت أشبه بقنبلة تُلقى على مدينة لتجعل الدمار في كل مكان...

عادت من شرودها لتسأل بصوتٍ خافت يحمل بعض الجمود:

-طب إحنا هنروح فين ؟؟

آجابها عطية بصوتٍ مُطمئن وابتسامة غطت ضيقه:

-هتروحو عند حد معرفة، وعنده بنت قدِك وبتكتب زيِك بالظبط، اسمها غادة

تجهم وجهيهما لفترة وكلٌ منهما تتبادل التحديق بالأخرى حتى سألت منة بشك:

-غادة المحلاوي ؟؟

التفت عطية لينظر لها مع ابتسامته الهادئة التي أثبتت حديثها:

-أيوة هي .. إنتِ عارفاها ؟

لم تُبدِ منة أي علامات وآثرت الصمت، فهي لا يجب أن تُخبر والدها بأنها تمقت تلك الكاتبة التي تتزعم الشُهرة، أما عن حور فكانت اللهفة تطغي على وجهها، فأخيرًا ستقابل تلك الكاتبة وجهًا لوجه كي تعلم ما الذي جعلها تحذى بهذه الشهرة...

بعد فترة من الصمت سألت حور ببعض اللهفة:

-إحنا هنروح إمتى ؟؟

آجابها عطية بإصرار:

-دلوقتي .... دلوقتي هتروحو تحضرو شُنطكم وهترحو هناك...

____

رغم هذا الثراء الفاحش الذي يُغطي أركان هذا المنزل وتلك اللوحات الفخمة التي أبدع رسام ماهر برسمها، إلا أن هذا المنزل لم يكن يحتوي على الدفء الذي يحويه أي منزلٍ، فقد كان باهتًا لا حياة به وكأنه إحدى المتاحف رغم أن هناك من يقتنه...

كان عدنان يجلس على مِقعدٍ فاخرٍ يرتشف رشفة من فنجان قهوته أثناء مراجعته لبعض المُستندات التي تخص عمله، كان الهاتف أيضًا أسفل أذنه و يسنده برأسه كي يتحدث مع ذاك المُتصل ويرتشف القهوة ويُراجع المستندات بنفس ذات الوقت..

وضع فنجان القهوة جانبًا كي ينزع الهاتف من جوار أذنه ويضعه على تلك الطاولة الرخامية الصغيرة التي تجاور موضع جلوسه..

كان يضع قدمًا فوق الأخرى ليظهر حذاءه الأسود اللامع الذي اجتمع مع بزته السوداء الأنيقة التي أتى بها من العمل ولم يُبدلها حتى هذه اللحظة، كانت عيناه السوداء تُحدقا بتلك الأوراق بإمعانٍ شديد حتى أرخى ظهره للوراء لتصطدم خُصلات شعره السوداء اللامعة بظهر المقعد الذي يجلس عليه، أما عن ملامحه فلم تكن تخلو من بعض التجعيدات نظرًا لكونه على مشارف الخمسين من العُمر...

قطع قرآته خطوات أنثوية تقترب نحوه يليها صوت يعرفه جيدًا يتحدث ببعض الدلال :

-أنا نازلة يا بابي..

انتبه إلى مصدر الصوت فنزع الأوراق من أمام عينيه ليضعهم على الطاولة ويردف بصرامة للفتاة التي تُحادثه والتي كانت تُماثله في العينين السوداء والشعر الأملس الذي بالطبع أنفقت عليه الكثير لتجعله بهذا اللمعان...

-استني يا غادة...

توقفت عن السير لتنتبه لأوامر والدها الذي يُحادثها من مكانه بلكنة آمرة:

-متنزليش عشان في ضيوف جاية

قطبت غادة حاجبيها كي تسأل بحيرة نظرًا لكونها المرة الأولى التي يستقبل بها هذا المنزل الكبير ضيوفًا، فمنذ رحلت والدتها وتركتها مع والدها ولا أحد يأتي هذا المنزل...

-ضيوف مين ؟؟

آجابها والدها بصوتٍ جامد يحمل الهدوء:

-في بنتين جايين ولاد واحد معرفة .. هيقضو معانا كام يوم

لاح التذمر على وجهها وهي تقول بحدة وصوتٍ قد ارتفع قليلًا:

-مين البنتين دول ؟؟ ... وإزاي يعني ناس غريبة تبات معانا في الفيلا

اضجر عدنان من صوتها المُحتد فحادثها بصرامة حملت بعض الغضب:

-صوتِك ميعلاش تاني ... ثانيًا أنا إللي أقول مين يبات ومين ميباتش... اتفضلي ادخلي جوة لغاية ما الضيوف تيجي

آشار بسبابته على السُلم كي تُلبي أوامره رغم أنفها؛ أطبقت على شفتيها بغضب ثم ضربت بقدمها على الأرض بتذمر، لكنها بالنهاية انصاعت لرغبات والدها كما تفعل دائمًا ... صعدت حُجرتها الفسيحة وارتمت على الفراش لتخلع حذائها وترتخي بظهرها والهاتف بين يديها تفتحه على إحدى الصفحات كي تقرأ تلك التعليقات التي تشيد بأعمالها وتجعل ابتسامتها تزداد تدرجيًا حتى تنسى هذا الخلاف الذي حدث منذ قليل...

بالجهة الأخرى وأمام هذا الباب الضخم الذي يخص إحدى المنازل الفاخرة، كان عطية يضع يدًا على كتف حور واليد الأخرى على كتف منة كي ينتبها إلى نظراته التي حمُلت الندم...

-إنتو عارفين إني بحبكم .. مش كدة ؟

قالها بغصة أليمة أمام نظراتهما الحائرة، فهو أخبرهما من قبل أنه سيغيب لبضعة أيام ثم سيعود مجددًا، لم يبدو الآن و كأنه يوُدعهما ؟؟

أومأا برأسيهما إيجابًا ليواصل عطية الحديث ببعض الدموع التي ترقرقت على وجنتيه:

-و عارفين إني لا يُمكن أتخلى عنكم ... مش كدة ؟

بدأت ضربات قلبهما تتسارع بقلق من حديثه فسألت حور:

-بابا هو في إيه ؟؟

حاول عطية التهدئة من روعه وهو يُربت على كتف حور محاولًا التماسك قدر الإمكان:

-مفيش حاجة يا حبيبتي ... أنا بس عايزكم تاخدو بالكم من نفسكم

قالها ثم ضم كلتيهما إلى كنفه وقد هُدمت حصونه في تلك اللحظة وبدأت دموعه بالانهمار على وجنتيه رغم أنه حاول عدم إظهار ضيقه كي لا يزداد شعورهما بالقلق، قبّل كلتاهما قبلة تعتلي رأسيهما وبقي يُمسد على الحِجاب الذي ترتديه حور وعلى خُصلات شعر منة بحنانٍ بالغ...

-متقلقش يا بابا ... إحنا هنبقى كويسين

قالتها حور لتزيده اطمئنانًا، لكن كلماتها لم تُغيِّر شيئًا داخل عطية، فلازالت دموعه تترقرق وشعور الندم ينهش أطرافه، لا يُصدق أنه سيتركهما هكذا بعد هذه السنوات...

انفتح باب المنزل بواسطة إحدى الخادمات مما قطع وصلة بكاءه وأبعد إبنتيه عنه ليُجفف دموعه قبل أن ينظر لهما نظرة أخيرة ودّعهما من خلالها:

-يلا ... لازم تدخلو .. مش هينفع أدخل معاكم

دفعهما بتروٍ اتجاه الباب ثم ابتعد بضع خطواتٍ ليعود إلى سيارة الأجرة التي كانت تنتظره على مقربة منهم، أمسكت كلًا من حور ومنة بحقيبتا سفريهما ثم لوّحا لوالدهما قبل أن يستقل السيارة ويبتعد تمامًا، كانت الدموع متكوِّمة على وجنتا منة، لا تعلم لما تبكي لكنها تعتقد أن هناك شيءُ ما أخفاه والدهما عنهما، وهذا الشيء يجعله يبكي لهذه الدرجة وهو يوُدعهما...

آحاطتها حور بذراعها لتُخبرها بعينيها أن كل شيءٍ سيسير على ما يرام، فما هي إلا لحظات حتى وطأت أقدامهما بهو هذا المنزل الكبير لتأتي الخادمات نحوهما وتنتشل حقيبة سفرهما، كانت منة تتفحص هذا المنزل الكبير وتلك التُحف والتماثيل المترامية بكل مكان، فبهو هذا المنزل لا يُعادل منزلهما بأكمله...

قطع تفحصهما لأركان المنزل خطوات عدنان التي إقتربت نحوهما مع ابتسامته الودودة التي يرسمها على وجهه وهو يُرحب بهما ببعض اللُطف:

-عاملين إيه يا بنات ؟؟ ... أنا عمكم عدنان

مد يده للمصافحة فبادلته حور المصافحة أولًا بيدٍ ترتجف بتوتر، تبعتها منة هي الأخرى وصافحته مصافحة باردة قصيرة المُدى، فعوالم التيه لا تزال تُغطي وجهيهما، حاول عدنان طمئنتهما بقوله:

-خُدو راحتكم و متخافوش ... وعايزكم تعتبروني زي أبوكم

لم ينبسا بنت شفة وبقيا في حالة من الصمت والتبلم حتى أتت غادة من أعلى بابتسامة صفراء تعتلي وجهها لأنها لا تزال تُعارض فكرة أن يأتي اثنين غريبين ليبيتا معهما بالمنزل، لكنها مُجبرة على حُسن معاملتهما من أجل والدها...

-هاي .. أنا غادة

قالتها غادة ببسمة واسعة مدت معها يدها لتصافحهما، وما هي إلا بضع ثوانٍ حتى ارتسمت البسمة المُتلهفة على ثغر حور وهي تُصافحها بحرارة وحماسٍ يعتمر كيانها...

-أنا حور .. ودي منة

قالتها حور مُعرفة نفسها هي وشقيقتها منة التي كانت نظراتها لا تخلو من الاشمئزاز...

-أنا بحبِك جدًا على فكرة .. وبتابع كل أعمالِك

قالتها حور بلهفة رغم أنها تضجر من أعمالها المتشابهة ولا تقرأ لها البتة، هي فقط تفعل هذا كي تكسب صداقتها ليس إلا، ربما فيما بعد ستساعدها هذه الغادة على نيُل الدعم الذي تستحقه...

اتسعت بسمة غادة وهي تتقبل اطراءها بحبورٍ ثم تستأذن من كليهما كي تصعد حُجرتها نظرًا لكون الوقت قد تأخر ويجب أن يستريحا بغرفتيهما، فما إن رحلت حتى

تقدمت الخادمة أمام كلًا من حور ومنة وآشارت لهما كي يتبعاها إلى الحُجرة التي سيبيتا فيها هذه الفترة...

_____

انتهت من ترتيب أوعيتها داخل تلك الخزانة الصغيرة التي ستتشاركها مع شقيقتها في فترة الزيارة هذه، فهذه الحجرة التي سيبيتا فيها ليست كبيرة ولا حتى صغيرة، هي حُجرة متوسطة الحجم ينتصفها فِراشٍ واحد وخزانة صغيرة جوارها مكتب صغير وضعت حور الحاسوب الخاص بها عليه، كما وضعت منة كُتبها وأدواتها الدراسية لعلها ستتأقلم بذاك المكان وتبدأ المذاكرة كما تفعل دائمًا...

تنهدت حور براحة وهي ترتمي على الفراش وتُغطي جسدها بغطاءٍ سميكٍ يُدفيء أناملها بهذه الأجواء لشتوية، أما عن منة فكانت لاتزال تُخرج أمتعتها وتضعهم على المكتب حتى أردفت بجُهد:

-أنا هطلع برة أشرب .. مفيش ماية هنا

سألتها حور وهي على الفراش:

-آجي معاكي ؟؟

عارضت منة حديثها بقولها:

-لأ مش لازم ... أنا مش هتأخر

أومأت حور رأسها بموافقة ثم أرخت جسدها على الفِراش بينما تركت منة الُحجرة طفقت تتحرك بالرواق الواسع بحثًا عن السُلم الذي سيقلها لأسفل حيث المطبخ، فهذا المنزل صعب عليها حُفظ أركانه ودواخله خاصة وهذه ليلتها الأولى، فهي تكاد تتيقن أنها في ذات المرات ستتوه بأركان هذا المنزل...

تحركت بخطواتٍ هادئة وأعينٍ تتلفت في كل مكانٍ وكأنها لص أتى للسرقة، قطع سيرها صوتُ غليظ تعرفه جيدًا، فهو يُشبه صوت عدنان الذي إدعى الود وهو يستقبلهما، فصوته الجهوري هذا ينم عن كونه شخصية صارمة غليظة...

كادت تتجاهل هذا الصوت وتعدو قِدمًا إلا أنها توقفت عن السير ما إن استمعت إلى تلك الجملة التي أعثت اضطربًا داخلها:

-متقلقش يا رياسة ... البنتين معايا ... بعد كام يوم هبعتهُملك.... !!

الفصل الثاني (مستنقع الغدر)

"الخوف هو شعور يضرب الذي يخشى الموت فيجعله ميتًا بالفعل"

ارتعدت فرائسها ما إن أنصتت لتلك الجملة التي لا تفهم معناها لكن فؤادها يُخبرها أنها موجهة إليها هي وشقيقتها، كان العرق يتصبب من جبينها بغزارة ويداها ترتجفتان لسبب لا تعلمه، فهي لا تشعر بالراحة هنا من الأساس، وتلك الكلمات زادت من اضطرابها وقلقها...

أنهى عدنان مكالمته ليضع الهاتف على الطاولة ويعتدل بجلسته، وثب من مقعده ليترك الحجرة فتراجعت منة خطواتٍ للوراء وقررت العودة إلى حُجرتها بسرعة قبل أن ينكشف أمرها...

هرُولت اتجاه الحُجرة مجددًا رغم أنها تشعر بالظمأ الشديد، لكن القلق داخلها جعلها تتناسى هذا الشعور وتدثر جسدها داخل الغطاء لعلها تتدارك ما حدث ولا تأتي بذكره أمام أحدٍ خاصة شقيقتها...

———————————————

أشرقت شمس يومٍ جديد وكانت حور وقتها تجلس أمام الطاولة التي وُضع عليها شتى أنواع المأكولات التي يتم تناولها بالصباح، تمسك بين يديها شطيرة من الجُبن وتلوُكها بهدوءٍ أثناء حديثها مع غادة، فقد كانت تتحدث معها بمرح عما تكتبه غادة وتتفاعل معها على الأحداث التي قرأتها بسرعة حتى تستطيع أن تكسب صداقتها...

أما عن غادة فكانت تُعاملها بلُطفٍ رغم أنها أحبت اطراءات حور ولم تتوقف عن الحديث عن أعمالها ومعجبينها...

إقتربت منة نحوهما بعد أن إرتدت سُترة قُرمزية أسفلها سروال من الجينز الفضفاض وشعرها البُني الذي عقصته لأعلى، كانت تحمل معها حقيبتها التي تحتوي على أوراقها وكُتبها الدراسية استعدادًا للذهاب لإحدى دروسها....

قبل أن تترك المنزل آرادت التحدث مع حور كالعادة فقالت:

-حور أنا هنزل

لم تُعيرها حور أي انتباه وكأنها لم تتحدث للتو، فقد انهمكت بالحديث مع غادة وتناست أن شقيقتها تحتاجها...

-يا حور أنا نازلة

نادتها منة مُجددًا بصوتٍ أعلى مما جعل حور تشعر ببعض الضجر من تدخل شقيقتها بحديثهما:

-خلاص يا منة عرفت إنك نازلة

قالتها حور بفظاظة لم تعهدها منة من قبل، فلطالما كانت حور تلك الحنونة التي دائمًا ما تُشجعها وتعاملها بحنان، كانت كلماتها كالخناجر بالنسبة لمنة التي شعرت بالخُذلان يُفتك بها؛ أنكست رأسها لأسفل وهي ترحل بهدوءٍ وخيبة أملٍ من ذاك المنزل، فحتى شقيقتها بدأت تتغيُر وتتجاهلها...

رحلت منة من المنزل بينما واصلت حور الحديث مع غادة ولكن هناك غصة اعتلت صدرها من حديثها بتلك الطريقة مع شقيقتها...

———————————————

أطال المُعلم بشرح الدرس باستفاضة حتى يفهم التلاميذ ويحفظون هذه الكلمات جيدًا، فهو يأخذ وابل من النقود من أجل تأدية عمله بأكمل وجه ممُكن، على الرغم من انعدام ضمير بعض المُعلمين إلا أن هذا المُعلم من الأقلة الذين يؤدون مهامهم على أكمل وجه....

لم تكن منة مُنتبهة لحديثه وكانت تصب حدقتيها بالهاتف الخاص بها والذي يعرض اسم والدها والرقم الخاص به، فهي لم تتوقف عن الاتصال به منذ هرعت من

المنزل، إتصلت به أكثر من مرة دون أن يأتيها أي رد، فكأنه يتعمد إغلاق الخط بوجهها أو أنه لا يرى مكالماتها من الأساس، فربما هو مشغول بهذا الوقت...

هذا ما أقنعت به نفسها وهي تُغلق الهاتف بخيبة أمل تُحيط بها للمرة الثانية على التوال، فهي لا تكاد تحصي المرّات التي تعرضت فيهم لخيبة الأمل والخُذلان، خاصة بعد رحيل والدها...

وضعت الهاتف بجعبتها دون أن ينتبه المُعلم نظرًا لكونها تجلس بالمقاعد الخلفية ولا تكاد تظهر من كثرة الطُلاب...

آمالت رأسها لجهة اليمين لتستند على باطن كفها وباليد الأخرى تضرب بها الطاولة بأصابعها بحركة تدل على التوتر، لكن الحقيقة أنها تُريد إشغال عقلها الذي لم يتوقف عن التفكير ويُريد ارغامها على البكاء وهي لا تُريد أن يحدث هذا بمُنتصف الدرس...

قررت بعدها الاعتدال بجلستها والتركيز مع مُعلمها لأن التعليم هو الشيء الوحيد الذي تبقى لها، فطالما أن لا أحد يهتم بها، فعليها هي أن تهتم بنفسها...

———————————————

العديد من الساعات مرّت وهي تجلس أمام مكتبها كموظفة استقبال بإحدى الشركات، فقد حصلت على تلك الوظيفة منذ فترة قصيرة وهي لا تزال غير مُقتنعة بها، فهي وظيفة لا تتماشى أبدًا مع تخصصها ولا ذكائها الفطري، هي فقط وظيفة مملة تجعلها ترد على إستفسارات الموظفين والعُملاء، ومع ذلك عليها تحمُّلها لتجني المال الذي هي في أمس الحاجة إليه...

كان رأسها محني لأسفل تُفكر بطريقة تُصلح به ما أفسدته مع شقيقتها وتُفكر أيضًا بمستقبلها بعد أن أخذت الخطوة وأعطت بعض من أعمالها لغادة لعلها ستُعجب بها وستساعدها على صعود أول درجات الشُهرة، فكان الحماس يُغطي أركانها كلما فكرّت بهذا الأمر، بالطبع أعمالها ستنال إعجاب غادة بما فيهم من أسلوب لغوي مُنمق ومُتسق والعديد من الأحداث الشيقة والأفكار الرائعة، بالطبع ستروقها أعمالها

وتبدأ بالحديث عنها مع مُعجبينها، فقد كانت غادة تُعاملها بلُطفٍ حتى شعرت حور بالمودّة اتجاهها...

خرجت من شرودها على صوت إحدى زميلاتها تُخبرها بمرح:

-يلا نروح نتغدا

لاحظت زميلتها علياء لمحات الحُزن التي غطت جُزءًا من وجه حور، فكانت ملامحها مزيجًا بين الحماس واللهفة والضيق والندم، لكن ما طغي عليها أكثر كان الندم والشرود مما جعل علياء تسأل بقلق:

-في إيه مالِك ؟؟

خرجت حور من شرودها على صوت علياء فاعتدلت بجلستها كي تُجيبها باطمئنان:

-مفيش ... أصل أنا اتخانقت مع أختي وعايزاها تصالحني

قطبت علياء حاجبيها وهي تسأل باستفسار:

-عملتلها ايه يعني ؟؟

آجابتها حور بضيقٍ واستذكار:

-كلمتها بطريقة وحشة ... بس والله مكانش قصدي

استخفت علياء بحديثها وهي تقول:

-بس كدة!!

تنهدت حور قبل أن تُبرر سبب ضيقها بقولها:

-أيوة، أنا عُمري ما زعقتلها من ساعة ما ماما ماتت

مازحتها علياء لتُخرجها من قوقعة حُزنها:

-فينك يا سمير يا اخويا عشان تسمع الكلام ده ... ده بيلطشني في الرايحة وفي الجاية

خرجت قهقهة خفيفة من جوف حور لكن قهقهتها تلاشت فجأة لتردف بأهمية:

-طب أنا عايزة أشترلها هدية ... تعرفي محل هدايا ؟

آجابتها علياء بثقة وهي تجذب يدها لتثب من موضعها:

-دا أنا أعرف مول بحالها بيبيع هدايا ... تعالي بس وأنا هظبتِك....

_____

تشربت السماء بعُتمة الليل والنجوم اللامعة التي أضافت بريقًا بهذه الليلة، فقد كانت السُفرة العريضة مُفترشة بشتى أنواع المأكولات الفاخرة، حيث ارتص الطعام بطريقة تجعلك تعتقد أنه لوحة فنية وليس طعامًا، فحتى الطعام هنا يُشبه اللوحات الفنية المُبهرة...

جلست حور على إحدى المقاعد وكانت غادة جوارها وعدنان يترأس الطاولة ببزته التي لا يخلعها رغم أنه يجلس بالمنزل، فهو لا يرتدي المنامة سوى عندما يخلد للنوم..

كان السكون مُخيم على المكان والإضاءة خافتة فيما عدا تلك البقعة التي يجلسون بها، فعدنان لا يُحب الإضاءة الكثيفة لذلك يفرض على جميع من بالمنزل ألا يفتحوا الكثير من الأضواء..

شارفت الساعة على العاشرة مساءًا، وكانت لا تزال منة خارج المنزل مما جعل عدنان يُلاحظ الأمر ويسأل حور عنها بنبرة صارمة...

ما كادت تُجيبه حور حتى استمعوا إلى صوت الباب يتم فتحه لتتوٌغل منه منة بخطواتٍ مُرتعدة قطعها صوت عدنان وهو يطلب منها المجيء..

ابتلعت ريقها بتوترٍ من نبرته الصارمة وقررت التحلُّي بالشجاعة وهي تتقدم نحوه حتى وقفت وراء حور مباشرة لعلها تتحامى بها..

-هو مش الدرس بتاعِك بيخلص الساعة تمانية ؟؟

قالها بحدة لأنه يعلم مواعيد دروسها ولا يُحب من يُخلف تعليماته وقواعده خاصة هي وشقيقتها....

ابتلعت ريقها بارتباكٍ ولم تكن تعلم كيف تُخبره أن صديقتيها ألحتا عليها بتناول الغداء معهما فور أن انتهى مِعاد الدرس، فقد سرقها الوقت وهي معهما ولا تعلم ما الذي سيفعله هذا الرجل ما أن تُخبره الحقيقة، فربما سيعاقبها ويمنعها من النزول مجددًا...

-أه بيخلص تمانية

آجابته بصوتٍ خافتٍ غطا عوالم ارتباكها...

-أومل كنتِ فين لغاية دلوقتي ؟؟

سألها بصوتٍ مُرتفع أكثر مما جعلها ترتعد أكثر من الخوف، تلعثم حديثها ولم تكن تعرف ماذا تقول لكن حور تدخلت لتساعدها بنبرة واثقة:

-كانت بتشتريلي حاجة ... أنا إللي قولتلها أنا أسفة

قالتها حور بشجاعة وهي توجه سبابتها على نفسها كي تقنع عدنان أنها السبب بتأخر شقيقتها، فقد كانت منة تنظر لها بغير تصديقٍ لما فعلته من أجلها رغم أنها لا تزال غاضبة منها...

تنهد عدنان بعُمقٍ حاول معه كبت شُحنة الغضب داخله، أدلى بعدها قراره بصرامة:

-إللي حصل ده ميتكررش تاني ... البيت ده ليه قواعد، ولو واحدة فيكم اتأخرت مش هتنزل من البيت تاني ... مفهوم ؟؟

أومأا رأسيهما تلبية لأوامره ليجداه بعدها يُشير لمنة كي تجلس وتتناول الطعام لكنها رفضت بهدوء وصعدت حُجرتها لعلها تهرب من نظراته المُرعبة ... فما هي إلا بضع دقائق حتى لحقتها حور لتطمئن عليها وتحاول مصالحتها...

———————————————

يتحرك القلم على بضعة أوراقٍ بطريقة عشوائية وهي تستند على ركبتها وتجلس على الفراش بعقلٍ شارد غير مُطمئن لتلك الحياة، فهذا المدعو بعدنان يُصيبها بالُرعب وتلك المدعوة بغادة تسرق منها شقيقتها، وهي بين كل هذا تكاد تنفجر من الضيق ولا تجد طريقة للخلاص...

قطعت حور شرودها وهي تنزع حجابها وتسألها بصوتٍ حانٍ:

-هو إنتِ كُنتِ فين ؟؟

سألتها كي تطمئن عليها لكن منة لا تزال غاضبة منها فآجابتها بلامبالاة:

-ملكيش دعوة

أدركت حور أنها لا تزال تحمل بعض الضيق من ناحيتها فجلست جوارها على الفراش تحاول بدء الحديث معها بندم:

-إنتِ لسة متضايقة مني ؟؟

لم تنبس منة ببنت شفة وبقيت تخط بالقلم على الورقة بطريقة عشوائية، واصلت حور مداعبتها بقولها:

-خلاص بقى خلي قلبِك أبيض ... مكنتش كلمة يعني قولتها من غير ما أقصد

لا زالت تتحلُّى بالصمت أمام حديث حور ورغبتها في نيل رضاها، آحاطتها حور بذراعها وهي تُخرج قلادة من جعبتها وتُقربها نحو منة كي تستطيع رؤيتها...

-طب بُصي أنا جِبتلِك إيه ؟؟

انتبهت منة أخيرًا لحديثها وهي ترمق تلك القلادة التي تحمل شكل قلبٍ مُنمق بحُبيبات الألماظ الرقيقة، أمسكت تلك القلادة بأناملها وبقيت تتفحصها والابتسامة تكاد تُرتسم على ثغرها، استغلت حور سعادتها بتلك الهدية وواصلت الاعتذار بقولها النادم:

-إنتِ أهم بالنسبالي من أي واحدة أعرفها .... ولازم نفضل مع بعض عشان خاطر بابا و ماما الله يرحمها

تنهدت منة بحُزن ما إن تم ذِكر والدتها التي اشتاقتها كثيرًا فهي قد فارقتهما وهي لا تزال بالسابعة من عُمرها، ومنذ تلك اللحظة وحور تتعمد معاملتها كابنتها كي تعوُّضها عن والدتها التي حُرمت منها باكرًا، فقد كانت حور وقتها بالخامسة عشر من عُمرها، وكانت بجوار شقيقتها حتى هذه اللحظة...

بقيت نظرات منة مصوَّبة لأسفل بضيق أعربت معه عن مدى اشتياقها لحياتها القديمة، خرجت من شرودها وهي تقول بغلٍ دفين ونبرة صارمة:

-أنا عايزة أمشي من هنا

تعجبت حور من قرارها فسألتها:

-نمشي من هنا !! ... ليه ؟؟ .. و هنروح فين ؟؟

واصلت منة حديثها بتبريرٍ وصرامة:

-نروح أي حتة ... أنا مش مرتاحة هنا

بدأ القلق يطغي على ملامح حور خاصة وهما لم يبقيا هنا سوى يوم واحد فقط، فمتى شعرت بعدم الراحة:

-في إيه يا منة ؟؟ ... هو إحنا لحقنا ؟؟

هاجمتها منة بحديثها الذي نبع من فؤادها:

-أنا أصلًا مش مرتاحة من ساعة ما جينا ... الناس دي مش شبهنا، وإللي اسمها غادة دي مغرورة وشايفة نفسها، كل إللي بتتكلم عنه هو أعمالها وبس ولا كأنها نجيب محفوظ...

كان حديثها صادقًا رغم أنها لم تتحدث مع غادة إلا بضع ثوانٍ، فهي فقط تستمع إلى حديثها مع شقيقتها الذي لا يتمحوُر سوى عليها هي فقط، كما أن عدنان يُعاملها بلينٍ ويُعاملهما بجمود كما لو كانا من الخدم...

كل هذا كان يخترق مسامع غادة التي تقف على مقربة من باب حجرتهما وتستمع إلى كلمات منة عنها وذمها بتلك الطريقة، ضمُت قبضتها بعضبٍ من ذاك الحديث وأقسمت على تلقين هذه التي تُدعى منة درسًا قاسيًا....

الفصل الثالث (سارقة !!)

"ربما القيام بشيءٍ عظيم يُعد أمرًا صعبًا ... لكن الأكثر صعوبة، هو أن تقنع الآخرين بأن ما تفعله عظيمًا"

منذ أن استمعت إلى حديث تلك المدعوة بمنة والنيران تغلي بداخلها، فمن هي حتى تتحدث عنها بهذه الطريقة ؟ من هي حتى تحكم عليها بتلك الفظاظة ؟ لم تعتد أبدًا على الذم خاصة بطريقة مباشرة، فمنذ غرقها في بحر الشُهرة وهي لا تتلقى سوى الاطراءات والمدح، حتى ولو كانت لا تستحقه، هي فقط اعتادت على تسليط الأضواء عليها...

طرقت باب المكتب الذي يجلس به عدنان ثم دلفت الحجرة بهدوء وأعينٍ تنضب بالغضب، لاحظ والدها نظراتها الغاضبة فترك الهاتف الذي كان يُجري مكالمة منه كي يعتدل بجلسته ويفهم منها ما حدث:

-نعم يا غادة..

قالها بنبرة جامدة فتنهدت غادة كي تستجمع قواها قبل أن تُخبره ما استمعت إليه.

لكن في أقل من لحظة، تراجعت عما كادت تقوله وقررت الإيقاع بها كي تنتقم منها، لذلك ادعّت التوتر وهي تتحدث:

-بابي أنااا...

تقدمت بضع خطواتٍ ثم أكملت بصوتٍ متقطع:

-أنا كنت ماشية في الطُرقة وبالصدفة سمعت منة وهي بتتكلم مع حور ... وكانت بتقول...

بترت حديثها وهي ترى عوالم الصرامة واللهفة على وجه والدها، فما إن طال صمتها حتى أردف بصرامة:

-بتقول إيه ؟؟

أخذت غادة نفسًا عنيقًا قبل أن تقول بتزييفٍ للحقيقة:

-كانت بتقول لحور إنها عايزة تهرب من هنا ... وبتقول إنها بتكرهك، وإنهم عايزين يسرقو فلوسك و يهربو من هنا

اتسعت حدقتاه بصدمة من حديثها فهب من مكانه وقد احمرّت عيناه من شدة الغضب :

-الكلام ده حقيقي ؟؟

سألها بنبرة مُرعبة كادت تُذيب عظامها لكنها تماسكت قدر الإمكان وهي تؤكد حديثها الباطل بنبرة مُستعطفة لعله يُصدقها:

-أيوة حقيقي ... أنا سمعتهم بوِّدني

بقي مكانه في حالة من الغليان والغضب، فلا يجب أن ترحل هاتين الفتاتين من منزله مهما كان الثمن، ليس قبل أن يُلبي رغباته..

عاد مُجددًا إلى مقعده وعقله شارد في تلك الكلمات لعله يعثر على طريقة تمنعهما من الهرب، عندما طالت فترة صمته إقتربت منه غادة بادعاءٍ أنها تُهديء من روعه بينما كانت اللهفة تعتمر جنباتها من ردة فعله...

-أنا بقول كدة يا بابي عشان تاخد بالك منهم ... دول ممكن يسرقونا

وها قد أتت الفكرة الماكرة بذهنه وجعلته يضع يده على كتِف غادة كي يُحادثها بثقة اختلطت بمُكره:

-محدش هيسرقنا ... والبنتين دول مش هيخرجو من هنا....

———————————————————

صباح اليوم التالي، كانت حور تتجهز أمام المرآة المُلتصقة بالخزانة، تحاول ضبط حجابها كي يضحى متناسقًا مع ملابسها البسيطة المكونة من سترة سماوية من الصوف أسفلها تنورة واسعة تصل حتى أخمص قدميها مع حقيبة بيضاء تتماشى مع ثيابها..

عندما انتهت من ارتداء ثيابها التفت إلى شقيقتها المُنهمكة بالمذاكرة على المكتب، من المُفترض أن يضحى هذا الوقت موُعدًا لإحدى دروسها، لكن الغريب أن منة لا تزال بالمنزل وكأنها لا تنوي الرحيل منه، لهذا السبب سألتها حور بفضول:

-مش إنتِ عندِك درس دلوقتي ؟؟

آجابتها منة وهي تصب حدقتيها على الكتاب:

-أه بس مش هروح

تعجبت حور من حديثها، لأنها تعلم أن منة لا تفوّت دروسها أبدًا، فهي تسعى لتحقيق حُلمها والالتحاق بكلية الهندسة، إقتربت منها بضع خطواتٍ كي تسألها بصوتٍ حانٍ يحمل بعض القلق لعل بها مرضٌ أو حُمى ما:

-مالِك يا منة ... إنتِ تعبانة

نفت منة برأسها كي تُطمئنها رغم أن ملامح الحُزن تُغطي وجهها:

-لأ أنا كويسة

-أومل مش عايزة تروحي الدرس ليه ؟؟ ... دا حتى عربي، يعني مادة مُهمة

أخذت نفسًا عميقًا وهي تحاول إخفاء الحقيقة والطوف ببصرها في كل مكانٍ حتى لا تُلاحظها حور:

-عشان ... عشان..

لم تستطع التفوّه بأكثر من تلك الكلمة، لأن ضميرها يأكلها ويُرغمها على عدم الكذب على شقيقتها، لاحظت حور تلعثمها فاستنتجت:

-إنتِ مش معاكي فلوس ؟؟

لم تستطع منة إجابتها لأن هذه هي الحقيقة، فالأموال التي أعطاها والدها إياهم قد نفدت تمامًا ولم يعد معها ما يكفي لبقية دروسها، كذلك لا تُريد الاستعارة من شقيقتها التي تعلم أنها تدخر أموالها من أجل طبع روايتها الأولى....

تركتها حور في دوامة صمتها واتجهت إلى الفراش حيث حقيبتها الصغيرة التي دثرتها أسفله والتي تحتوي على بضعة أموال أنهكت ذاتها بالعمل حتى تدخرهم، أخذت أغلب هذه الأموال ومدّتهم نحو منة مع كلماتها الآمرة:

-خُدي يا منة ... دول هيكفو دروسِك الأسبوع إللي جاي كله

رفضت منة عرضها بإصرار:

-لأ مينفعش ... دول الفلوس بتاعت روايتِك

أصرّت حور على قرارها بنفسٍ راضية:

-روايتي مش أهم من مستقبلِك... بعدين إنتِ لما تبقي مُهندسة وتشتغلي في مكان كبير هترديهُملي...

أنهت حديثها ببسمة مرحة مُتشدقة بالتشجيع والأمل، بادلتها منة بابتسامة أخرى أخذت معها الأموال واحتضنت شقيقتها بحُبٍ أخوي وامتنانٍ لما فعلته من أجلها، بعدها اتجهت إلى المرحاض لتُبدل ثيابها بسرعة كي تذهب مع شقيقتها إلى درسها كما تفعل كل يوم...

انتهت منة من إرتداء ثيابها بسرعة وتركت المنزل هي وحور، لكن بعد رحيلهما، اقتحمت غادة الحُجرة وبقيت تعبث بأغراض منة حتى عثرت على حقيبتها المدرسية التي تحتوي على أغراضها، حملت تلك الحقيبة ووضعتها على الفِراش ثم أخرجت ساعة ذهبية فاخرة من جعبتها لتبتسم بعدها ابتسامة شيطانية تنم عن خطتها الماكرة ...

_____

انتهى اليوم بما فيه من صِعابٍ ومشاقٍ جعلتهم يزحرون ويعانون المآسي، لكن الحقيقة أن تلك الأيام لا تتعادل مع الأيام القادمة المليئة بالأنين والأوجاع...

كانت حور وقتها تتجوُّل بالمنزل بحثًا عن غادة، فهي قد اعتادت الحديث معها وعن اهتماماتهما بعد أن تأتي من العمل، وعلى الرغم من أن غادة قد تخطت الرابعة والعشرون إلا أنها فضلت ألا تخترق الحياة العملية وتتمتع بنعيم والدها والتفرغ لكتابة رواياتها التي لا فائدة منها، فكيف لمُدللة مثلها أن تغوص في عالم الوظائف والاعمال كما تفعل حور...

توقفت حور أمامها كي تسألها بلهفة:

-غادة ... هو إنتِ .. قريتي الرواية بتاعتي ؟؟

سألتها بحماسٍ يضرب دواخلها لأنها واثقة أن غادة ستُعجب بها و بأسلوبها المُتقن، كذلك كانت مُترددة قبل السؤال رغبة بمعرفة رأي غادة التي بالطبع بدأت قرآتهم كما أخبرتها...

لم يبدو على غادة أي علاماتٍ وهي تُجيبها بحُزنٍ زائف:

-أه قريتها...

زادت لهفة حور وهي تسألها:

-طب إيه رأيِك فيهم ؟؟

انتظرت أن تستمع إلى اطراءاتٍ على أعمالها التي تبذل بهم جُهدًا جبارًا، لكن ما استمعته هدم جميع طموحاتها عندما أردفت غادة بنفس ذات النبرة المتأسفة:

-أنا أسفة بس ... الروايات بتاعتِك مش مفهومة، ومحدش بيحب النوع ده

قالتها بأسفٍ ثم رحلت تاركة حور في حالة من التصلب والخُذلان، بدأت الأفكار الشيطانية تراودها وتُخبرها بالفعل أنها ليست ماهرة....

كادت دموعها تنهمر على وجنتيها لكنها كبتتهم وهرعت إلى حُجرتها بسرعة أمام نظرات منة التي راقبت ما حدث من بعيد وداخلها يريد الفتك بتلك المتعنتة....

ما إن رحلت حتى تمتمت غادة بصوتٍ حاقدٍ مُنخفض:

-هي فاكرة نفسها مين دي كمان

إرتمت على فراشها بخُذلانٍ وأكتافٍ متهدلة، جعلتها تضم ركبتيها إلى صدغها كالجنين في بطن أمه، دثرت رأسها بين ركبتيها لتطلق العِنان لدموعها بالإنهمار، فما شعرت به الآن هو الفشل، فليس الإحساس بالفشل أمرٌ هينٌ، هناك أشخاصٌ يُزهقون أرواحهم فقط لأنهم يشعرون بالفشل، فهو ليس مُجرد إحساس، إنه خناجر حادة تنغرس بالصدر وتجعل الدماء في كل مكان...

بدأت الوساوس تزورها وتُخبرها أن ادعاءها الموهبة هو وهم ليس إلا، فهي ليست موهوبة كما تزعم و كما تقول شقيقتها، هي مجرد فاشلة لن تُحقق أحلامها مهما حدث...

كلما زادت وساوسها كلما انهمرت دموعها أكثر، فهذا العقل بدلًا من أن يُهديء من روعها يجعلها تزيد من بكاءها....

فردت قدميها وأرخت رأسها للوراء كي تُحاول الصمود كما تفعل دائمًا، هذه ليست أول مرة تشعر فيها بالفشل، فحياتها ما هي إلا مجموعة من المحاولات الفاشلة، ورغم هذا تحاول الصمود والتمسك بحُلمها رغمًا عن أنف الحاقدين، فطالما لا يُقدر أحد موهبتها، يُجب عليها هي أن تُقدرها...

سرعان ما زارتها صديقتها الوهمية التي تُشجعها على المثابرة والمواصلة مهما كانت الصعوبات، كفكفت دموعها المتساقطة ثم اتجهت إلى المكتب لتنتشل إحدى الأقلام وتعود مجددًا إلى الفراش مع دفترها الذي دائمًا ما تدوِّن به خواطرها لعلها تُلقي أعباءها على تلك الأوراق...

"تشبه حياتنا لعبة الفيديو... فكل مرحلة أصعب من التي قبلها، لكنك إذا خسِرت بإحدى المراحل ... فعليك إعادة اللعبة من بدايتها"

كتبت تلك الخاطرة ثم وضعت دفترها أمامها لتعاود الاسترخاء مجددًا بعوالم باهتة تحمل آثار البكاء...

استشرعت صوت الباب الذي تم فتحه بواسطة منة التي هرعت نحوها فورًا لتجلس جوارها وتحاول مواساتها بصوتٍ حانٍ:

-متصدقيش كلامها ... هي غيرانة منِك

لم تنبس حور ببنت شفة وبقيت على حالتها الصامتة حتى إقتربت منة نحوها لتلتصق بها وتحاول أن تسترخي برأسها على كتِف حور لعلها تبثها بعض الدفء وتُخبرها أنها ستدعمها حتى ولو كانت الوحيدة...

-على فكرة إنتِ بتكتبي أحسن منها ... بس الناس ذوقهم الأدبي بقى مُنحدر ... عشان كدة خلو واحدة زيها تبقى مشهورة

لم تتحدث حور رغم محاولات منة المستميتة لمواساتها، أعتدلت منة بجلستها كي تُخبر حور بتشجيع:

-أنا هفضل أقرا أعمالِك لآخر يوم في عُمري .. المهم إنِك متوقفيش

نجحت تلك الكلمات برسم بسمة هادئة على ثغر حور ساعدتها بمحو ما تبقى داخلها من نواخز الحُزن، فتلك الكلمات البسيطة ساعدتها على المثابرة والتمسك بحُلمها مهما كانت الصِعاب، فهي لن تكف عن المحاولة طالما هي ماهرة وشقيقتها تؤمن بموهبتها، هي ليست مجبورة بأن تنحدر بطريقة كتابتها وأفكارها حتى يُعجب بها الجميع، ستظل كما هي حتى ولو لم تنل ما تستحقه من الإعجاب، فهي مؤمنة بما تفعله وتتطور باستمرار، وهذا يكفي وبشدة...

قطع لحظتهما الهادئة صوت باب الحُجرة وهو ينفتح بغوغائية، كانت حور لا تزال بحجابها لكنه تساقط قليلًا فقامت بعدله بعد أن رآت عدنان يدلف حُجرتهما بنظراتٍ تحمل كمًا من الغضب...

-مين فيكم إللي سرقت الساعة بتاعت غادة ؟؟

قالها عدنان بصوتٍ حادٍ يحمل معه الاتهامات المباشرة، كانت غادة تقف خلفه تدعي الضيق وتسترفد نظرات منة المليئة بالحقد، وثبت حور من مكانها كما فعلت منة التي كانت تردف بهجوم:

-إحنا مسرقناش حاجة .. إحنا مش حرامية

قالتها بثباتٍ تُحسد عليه لكنها وجدت غادة تُشير عليها وهي تقول بثقة:

-لأ يا بابي متصدقهاش ... أنا شوفتها وهي بتاخد الساعة وبتحُطها في جيبها ... ولما سألتها أنكرت ومرضيتش تديهاني

بدأ الغضب يحتل وجه حور خاصة وهي ترى غادة تتهم شقيقتها بجرمٍ كهذا:

-إنتِ بتقولي إيه !! ... منة مش حرامية

قالتها حور بصوتٍ مُرتفع حمل معه الهجوم، وما كادت ترد عليها غادة حتى آشار عدنان بإصبعه كي تتوقف ويردف هو بنبرة صارمة:

-أم عصام ... تعالي إفتحي شنطتها

نادى للخادمة بأن تُفتِش الحقيبة الخاصة بمنة أمام نظراتهما المليئة بالحِقد والغضب، ومع ذلك لم تتدخل منة لأنها متيقنة أنها لم تأخذ شيئًا وأن الخادمة لن تجد ما يُدينها داخل تلك الحقيبة، لكن ما حدث هدم جميع توُقعاتها...

فما إن أخرجت الخادمة تلك الساعة الذهبية من بين أغراض منة وأعينهما قد اتسعت في صدمة، فمتى وكيف أتت تلك الساعة هنا ؟ لا أحد منهما يعلم سوى تلك الماكرة التي ترتدي قِناع اللطافة...

انتشل عدنان الساعة من يد الخادمة ورفعها أمام منة ليسألها بصوتٍ مُرعبٍ كاد يجعلها تفقد الوعي:

-إيه إللي جاب الساعة دي هنا ؟؟

تصبب العرق على وجه منة وهي تنظر للساعة بصدمة وضربات قلبها تنبض بسرعة مع كلماتها المُتقطعة:

-مـ .. معرفش .. معرفش جات إزاي .. بس .. بس والله مأخدتش حاجة

كادت الدموع تُذرف من عينيها وهي تُحاول تبرئة نفسها لكن عدنان لم يُصدق حديثها وآشار لحراسه الذي كانوا يقفون خارج الحجرة لكنهم الآن أضحوا يقفون وراءه...

آشار عليهم بأن يأخذوا منة من تلك الحُجرة عقابًا لها عما فعلته، فما إن أدلى هذا الأمر حتى آحاطها الحراس من كلا الجانبين وطفقوا يدفعونها رغمًا عنها، وهي تبكي بين ذراعهم و تتوُسل لهم أن يتركوها و أنها لم تسرق هذه الساعة...

وجهُت نظراتٍ عابرة نحو حور التي كانت تحاول دفع الحُراس بعيدًا عن شقيقتها حتي دفعها واحد منهم بقوة جعلتها تسقط على الأرض ويلتحم ظهرها بمِسند الفراش، أُغلق الباب بعدها بإحكامٍ كي لا تتبعهم حور وتبقى وحدها بالحجرة بعد ان أخذ الحراس شقيقتها إلى مصير مجهولٍ وتركاها تبكي بحسرة عليها ولا تعلم كيف يتهمونها بالسرقة...!!

الفصل الرابع (لا تعتمد على أحد)

"إذا كانت الجُدران تمتلك آذانًا، فلمَ لا تستمع إلي بدلًا من البشر الذين يرفضون سماعي"

طغت الحُمرة على يدها من كثرة الطرق على الباب، غطت الدموع وجنتيها من شدة البُكاء، كما تحشرج صوتها والتهبت حنجرتها من كثرة الصياح ومناداة شقيقتها التي أخذوها بعيدًا عنها وفرقوا بينهما بتلك الوحشية، هي متيقنة أن شقيقتها بريئة ولم ترتكب أي من الجرائم، ولا تعرف حتى سبب سجنها واتهامها بتلك التُهم، لا تعرف حتى لما توجد هي وشقيقتها بذاك المنزل ولما يحدث معها كل هذا .. حقًا لا تعرف وتعجز عن إيجاد إجابات لتلك الأسئلة التي تؤرق ذهنها...

لا تجد أمامها الآن سوى الجلوس على الأرضية الصلبة و ضم ركبتيها بقهرة تجتنحها وتجعلها تبكي أكثر وأكثر...

على جهة أخرى كان عدنان يتحدث مع الحرس بلكنة آمرة:

-إفتحو عليها الباب ... ومحدش من البنتين دول يخرج من البيت لغاية ما ييجي المُشتري

أومأ الحارس برأسه ثم رحلُ ليُنفذ الأوامر، عاد عدنان إلى مكتبه مجددًا ليجد أمامه غادة تبتلع ريقها ببعض التردد قبل أن تسأل:

-بابي .. هو حضرتك هتعمل إيه ؟؟

سألته بصوتٍ خافتٍ متردد لتجده محافظًا على جموده وهو يجلس على مقعده المُريح ويردف بنظراتٍ نارية:

-مش إنتِ كنتِ عايزة تنتقمي من إللي اسمها منة ؟؟ ... أديني عملت إللي إنتِ عايزاه

اتسعت حدقتا غادة بذهولٍ من معرفة والدها لحقيقة الأمر، فهي لم تُخبره أن منة تحدثت عنها بطريقة سيئة، ما قالته فقط أن منة تُحضر لمكيدة ما وتسعى للهرب، وهي من أخبرته بتلك الخطة كي تشوِّه صورتها وتنتقم منها...

وجدت عدنان يقترب نحوها بخطواتٍ هادئة بثت الرعب بداخلها لكنها حافظت على ثباتها لأنها مُتيقنة أن والدها لن يأذيها أبدًا مهما كانت نظراته مُرعبة وتعليماته صارمة، وجدته يضع يده على كتفها مما آصابها بقشعريرة لا تدري سببها، خاصة وهي تستمع إلى فحيحه الذي يُشبه فحيح الأفعى:

-لما تيجي تضحكي على حد ... متضحكيش عليا...

رفع جذعه ليواصل الحديث بنفس ذات النبرة:

-أنا معملتش كدة عشان خاطرِك .. انا عملت كدة عشان محدش فيهم يفكر يهرب من هنا ... وقُريب أوي هخلص من الاتنين...

داخل حُجرتها مجددًا وقد أحست في تلك اللحظة أن الباب يتم فتحه وبضع أقدامٍ تقترب نحوها؛ وثبت بسرعة من الأرض كي تفتح الباب بسرعة وتعدو بالرواق بحثًا عن شقيقتها بدموع لا تزال على وجنتيها وصوتٍ مكتومٍ أنهِك من كثرة الصياح وأضحى لا يستطيع إخراج الأصوات...

أثناء سيرها استشعرت صوت عدنان الذي تغلغل من داخل مكتبه وهو يتحدث عبر الهاتف بعد أن رحلت غادة وتركته وحيدًا يتحدث بلكنة صارمة قال معها:

-دخل الأطفال في المخزن ... عايز الموضوع يخلص بسرعة...

لم تكن تفهم حديثه لكنها استرفدت أعماله الشنيعة من لكنته القاسية، أخرجت هاتفها بسرعة وقامت بتسجيل كل كلمة يقولها دون أن ينتبه لها، لعلها فيما بعد تتفقد تلك التسجيلات وتفهم ما الذي يقوم بفعله...

-بقولِك إيه .... القلب مش هيتباع غير بمية ألف ... ولو المُشتري موافقش مش هنبيع ... وإعمل كدة مع باقي الأعضاء...

وجدته يُنهي المكالمة ويثب من مقعده كي يرحل من الحجرة...

تسارعت نبضات قلبها لوهلة خشية من أن يتم كشفها، وما هي إلا ثوان وقد هروُلت في مكانٍ بعيد لتواصل بحثها عن شقيقتها حتى اصطدمت بغادة التي ظهرت أمامها فجأة...

قابلت حورعينا غادة بنظراتٍ نارية تحمل كمًا من الغِل، لكن غادة لاقتها بنظراتٍ باردة كالثلج وكأن ما فعلته ليس افتراءًا على الآخرين، قطعت حور حرب النظرات هذه بكلماتٍ حادة:

-إنتِ ليه عملتي كدة ؟؟ ... منة معملتش حاجة عشان تتهميها

رفعت من صوتها مع آخر كلماتها فردت عليها غادة بلكنة مُستفزة:

-أختِك حرامية ... إنتِ بس إللي مش عايزة تصدقي

احتدت حور أكثر من لكنتها واتهاماتها الخاطئة الموجهة لشقيقتها، وهي متيقنة أنها بريئة، لم توقف يدها وهي تحاول جذب غادة من خصلات شعرها وتدفعها بعيدًا بكل ما أوتيت من غضبٍ دفين:

-أنا أختي مش حرامية يا كدابة ... ولو مقولتيش الحقيقة ورحمة أمي لافضحِك وأقول للناس كلها إنِك واحدة حقودة وبتمثلي قدام الناس

رفعت من صوتها مع آخر كلماتها فدفعتها غادة بقوة كي تبتعد عنها وتستمع إلى حديثها الذي حمل الاستخفاف وإجتمع مع قهقهة بسيطة زادت من حنق حور:

-وإنتِ فاكرة يعني إن حد هيصدقِك...

حدقت بمنتصف عينا حور لتواصل الحديث بلكنة جامدة مُحملة بالإهانة:

-إنتِ حياالله أختِك بس إللي تعرفِك ... إنما أنا مُعجبيني كتير ... يعني لو قولتي كلمة واحدة عليا محدش هيصدقِك، وهيقولو إنِك من أعداء النجاح ... وإن إنتِ إللي حقودة مش أنا

هدأت من نبرتها الحادة لتردف بنبرة أخرى مُهددة:

-إنتِ لسة في أول الطريق ... فبلاش تخليني أحطِك في دماغي وأخلّي طريقِك ينتهي قبل ما يبدأ

بصقت تلك الكلمات ثم تركت حور تغلي بصمتٍ وتضم قبضتها لعلها تلكم هذه التي ظنت لولهة أنها إنسانة جيدة، هذه الفتاة ينطبق عليها مقولة " لا تحكم على الكتاب من غلافه "، فهي من الخارج تبدو فتاة لطيفة، أما من الداخل تحمل كمًا من الكراهية والغيرة...

قررت أن تتركها وحدها وتنتقم منها فيما بعد، فهي تُريد الآن أن تعثر على شقيقتها وتطمئن عليها، واصلت البحث بأركان المنزل حتى لاحظت المكتب الخاص بعدنان والذي كان فارغًا تمامًا والاضاءة كذلك كانت مُغلقة، لكن الباب كان مواربًا، فهذا يعني أنه ذهب ليقضي بعد الحاجيات ثم سيعود مجددًا...

حاربت أعداء خوفها كي تدفع قدميها داخل المكتب وتبدأ البحث بين الأغراض بضربات قلبٍ تنبض بسرعة البرق وعرقٍ يتصبب على جبينها بغزارة، واصلت البحث بين العديد من الأوراق ثم أخرجت هاتفها وطفقت تلتقط العديد من الصور بأصابع مُرتجفة لكنها بالنهاية استطاعت الحصول على كمِ من الُمستندات قد يُدينه، صحيح أنها لا تعرف ما بهذه المستندات من جرائم وصفقات، لكنها ستعلم قريبًا ... ووقتها ستنتقم منهما أشد إنتقام....

———————————————————

مرّت ثلاثة أيامٍ كانت صعبة بالنسبة لها، فهي لم تتوقف عن البحث عن شقيقتها طيلة هذه الأيام، لم تتوقف عن الصياح للجميع خاصة عدنان والحرس، والامتناع عن الطعام حتى ترى شقيقتها، فقد نقص وزنها في تلك الأيام وبُهتت ملامحها من كثرة البكاء، حتى ألوان وجهها قد سُحبت من كثرة ما عانته من ألم الفراق...

أمر عدنان حراسه بأخذها لرؤية شقيقتها بعد أن ألحت عليه بإحدى الأيام حتى وافق أخيرًا، لأنه يعلم مصيرهما بالنهاية، فلا ضيَر بالتمتع قليلًا قبل أن يرحلا عن هنا...

أخذها الحُراس بحدة إلى قبوٍ يقع بالطابق الأخير حيث وُضعت شقيقتها داخل إحدى الحُجر ذات الباب الحديدي الفُولاذي الذي يستحيل فتحه، كانت هناك فتحة صغيرة بالأسفل تُمنكهم من إدخال الطعام وتُمكن صوتها ونحيبها من الإنطلاق من تلك الحُجرة المقيتة...

ركعت حور على ركبتيها بهوادة تحسست معها هذه الفتحة وهي تنادي على منة بصوتٍ مُتحشرج مُحملٍ بالبكاء...

استشعرت أنامل منة التي ظهرت من الناحية الأخرى ودموعها التي لم تتوقف منذ أن رأت شقيقتها:

-حور .. كُـ ... كنتِ فين ؟؟

تجاهلت حور سؤالها كي تطمئن عليها بقلقٍ وبيل:

-إنتِ كويسة ؟؟ ... حد عملِك حاجة ؟؟

لم تستطيع منة الحديث ووجدت دموعها تنهمر تلقائيًا وبغزارة جعلت قلب حور ينقبض وهي تسألها بهلع:

-يا منة حد عملِك حاجة ؟؟ ... إنطقي

كاد الجنون يضرب أوصالها كلما أتتها فكرة أن يكون أحدهم قد مسَّ شقيقتها وآذاها بمكروه، خاصة وهي ترى وجهها الأحمر وأعينها الجافة من كثرة البكاء... حاولت منة التوقف عن البكاء كي تردف بين شهقاتها:

-أنا عايزة أمشي من هنا ... كلمي بابا قوليله ييجي ياخدنا ... أبوس إيدِك يا حور أنا عايزة أمشي من هنا

أشفقت على حالتها المزرية ولم تكن تعلم ماذا تفعل، فهما لم يتواصلا مع أبويهما منذ ما حدث، ولا تعرف هي أي شيءٍ عنه، وأمام كلمات منة المتوّسلة وجدت لسانها يردف بوعدٍ ومحاولة مستميتة للتهدئة من روعها:

-حاضر يا منة ... أنا هكلمه، صدقيني هكلمه وهقوله ييجي ياخدنا ... بس متعيطيش

لم تنبس منة ببنت شفة وبقيت تنظر بعوالم باهتة حاولت معها استجماع قواها، أخرجت حور شطيرة كانت تدثرها بجيبها وتُقربها من تلك الفتحة الصغيرة مع كلماتها الحنونة:

-بُصي جبتلِك إيه..

مررت الشطيرة من تلك الفتحة أسفل الباب فالتقطتها منة بحبور وبقيت ترمقها لوهلة حتى شجعتها حور على تناولها كما تناولت هي أيضًا شطيرتها بجوار شقيقتها التي وعدتها بتهريبها من هذا المكان، مهما كان الثمن...

———————————————

بنفس تلك الليلة، كانت غادة تجلس على فراشها تُقلم أظافرها وتضع الهاتف أسفل أذنها كي تتحدث مع صديقتها...

-أوعي متجيش حفلة توقيع الرواية بتاعتي ؟؟

قالتها غادة بتهديدٍ مازح لصديقتها التي تُحادثها عبر الهاتف، فكان الحديث معهما يجري بصورة ودية حتى سألت صديقتها بفضول:

-صحيح هتعملي إيه مع البنت إللي معاكم في الشقة ؟؟ ... مش قولتيلي إنها بتكتب باين

آجابتها بلامبالاة و هي لا تزال تُقلم آظافرها:

-ولا أي حاجة ... أصلًا بابي قالّي إنها هتمشي قريب هي وأختها

قطبت صديقتها حاجبيها بحيرة وهي تسأل:

-هيروحو فين ؟؟ ... هو أبوهم هيرجع ؟؟

كانت تلك صديقتها المُقربة التي تعرف جميع أسرارها ودواخلها، فغادة تُخبرها كل ما يحدث هنا، خاصة منذ أتت هاتين الفتاتين إلى ذاك المنزل...

-بابي قالّي إن أبوهم مش هيرجع ... بس مش عارفة هيروحو فين، وأصلًا مش فارق معايا

انتهت من تقليم آظافرها لتسترخي بظهرها للوراء وهي تواصل الاستماع لصديقتها التي كانت تقول:

-طب إنتِ قريتي أعمالها ... ما ممكن تكون موهوبة

استنكرت غادة حديثها بغيرة:

-حتى لو كانت إيه ... أنا مش هسمحلها إنها تبقى أنجح مني، مش دي إللي على آخر الزمن تعلّي عليا...

أوشك الليل على الإنتهاء وكانت حور داخل حُجرتها تحمل هاتفها وتضغط عليه بعُنفٍ ثم تضعه على أذنها وتنتظر برهة حتى تتلطخ عوالمها باليأس وتعاود الكرة مجددًا...

بعد العديد من المحاولات الفاشلة التي كانت فيهم تحاول التواصل مع والدها ولا يأتيها أي رد، أغلقت الهاتف بغضب وألقته جوارها على الفراش لتدثر وجهها بين ركبتيها كما باتت تفعل بالفترة الأخيرة....

كان الغضب يعتمرها لكنها كبتت دموعها هذه المرة وقررت الاندثار داخل غطاء الصرامة حتى تواجه هذا العالم المقيت، فوالدها الذي تعلقت به كآخر أملٍ لإنقاذهما، يبدو أنه يتخلّى عنهما كما تخلّى عنهما البقية....

فطالما لم ينصفها أحدهم بهذا العالم، فعليها هي أن تنصف نفسها وتتحلّى بالشجاعة من أجلها وأجل شقيقتها فقط، فلا مجال للاستسلام والمثابرة، انتهت فترة المثابرة وبدأت فترة الإنتقام، الإنتقام من العالم، ومن كلٍ من ظلمها، خاصة بهذا المنزل الذي ستبدأ منه معركتها...

أمسكت الهاتف مجدداً لتتفقد تلك الأدلة التي أخذتها وبداخلها عزيمة تُخبرها أن تكف عن الاعتماد على الآخرين، ويجب أن تسترد حقها وحريتها بنفسها ... مهما كانت الأهوال.... !!

الفصل الخامس (حرية مقابل حياة)

"أضحينا في زمنٍ نترك فيه المجال لقطعة من المعدن أن تتحكم بحياتنا"

لا تزال الأسئلة تعصف بذهنها، فهي تحمل معها دليلًا قاطعًا لما يرتكبه هذا الحقير من أعمالٍ شنيعة، أي أن بيدها تسليم تلك الأدلة للشرطة والتخلص من هذا السجن الذي وُضعت فيه هي وشقيقتها قهرًا...

لا تعلم حتى لما تركهما والدهما هنا ؟؟ ما علاقة والدها بشخصٍ كهذا، فوالدهما رجلٌ بسيطٌ يختلف تمامًا عن هذا الرجل، كيف يتركهما والدهما دون أن يسأل عنهما حتى ؟؟ ... أيمكن أن يضحى بالفعل قد تخلّى عنهما للأبد ؟؟؟

وضعت كلتا يديها على رأسها لتمنع تلك الأفكار من التدفق لها مجددًا، فمستحيل أن يتخلّى والدهما عنهما بتلك الطريقة، فمنذ وفاة والدتهما وهو يعتني بهما ويحرص على سلامتهما ... بالطبع لم يفعل هذا بهما، ربما هو ليس متفرغًا هذه الأيام وسيحادثهما عما قريب...

هذا ما أقنعت به نفسها لعدم رغبتها بالتصديق، تريد أن تحافظ على صورة والدها حتى ولو تخلّى عنها وعن شقيتها، لا تُصدق حتى أنه تركهما بمكانٍ كهذا...

ضمت ركبتيها بحسرة أذرفت معها الدموع، فهي تشتاق لوالدها كثيرًا، تشتاق إلى حديثه وإطمئنانه الدائم عليهما ... تشتاق أيضًا لوالدتها وأسرتها البسيطة، كانت حياتهم هادئة داخل منزلٍ بسيط مليءٍ بالدفء ... ولكن في لحظة واحدة أصبحت وحدها هي وشقيقتها وسط هذا العالم القاسي ... فالحياة قد سرقت أحلامها مُسبقًا، وسرقت عائلتها اليوم .... لكنها لن تسمح لها بسرقة حريتها كذلك، سترحل من هذا المنزل وتواجه تلك الحياة كي لا تخسر بالمعركة مجددًا...

تفحصت الهاتف للمرة التي لا تعلم عددها كي تقرأ تلك الأوراق المهمة التي التقطت لها العديد من الصور، تريد الذهاب للشرطة وتسليم تلك الأدلة لكنها مسجونة داخل هذا المنزل ولا تستطيع الرحيل، كما أنها لا تعلم إن كانت الشُرطة ستُصدقها أم لا،

فلا أحد يُصدقها بهذا العالم .... و إذا أخبرتهم عن شقيقتها فسيُخبرها الجميع أنها أتت هذا السجن بقدميها، وربما ستفشل مجددًا بإقناعهم بكونهما يتعرضا للظُلم هنا...

ألقت رأسها الذي تضخم من كثرة التفكير على الوسادة، فردت بعدها جسدها وقررت الاستسلام للنوم لعل عقلها يستريح قليلًا وتعاود المحاولة في اليوم التالي...

———————————————

أشرقت شمس يومٍ جديد مُعلنةً عن بداية جديدة مليئة بالمثابرة والعديد من المحاولات، وفي ذاك المكتب الكلاسيكي كان يجلس عدنان بهيبته الطاغية على إحدى المقاعد يُدخن من غليونه ويستمع إلى رجلٍ يبدو بآخر العِقد الأربعين لكن نظراته تحمل ما يملكه العالم من مُكرٍ وانعدام الإنسانية، كان يردف بتقرير ونبرة غليظة:

-يعني إيه هاخد الاتنين بـ500 ... دول حيالله بنتين

نفث عدنان الأدخنة من فمه ثم آجاب ببرود:

-بنتين في عز شبابهم ... و صحتهم كويسة ... يعني المفروض كُنت أعلي في السعر، بس أنا إللي كارمك...

أرخى ظهره للوراء ليواصل الحديث بلامبالاة:

-لو إنت مش عايزهم فبراحتك ... أنا أعرف أجيب مُشتري غيرِك

إحتد الرجل قليلًا لأنه يعلم تلك النبرة التي تُرغمه على الموافقة على تلك الصفقة رغم أنها ليست مُنصفة، لكنها أيضًا مُربحة بالنسبة له، لذلك أردف بعد فترة ببعض التذمر الذي غطاه بالجمود والصلابة:

-ماشي ... أنا موافق ... يومين كدة أحضرلك الفلوس وهاخدهم...

———————————————

فتحت عينيها بوهنٍ وبطءٍ تشعر معه بثقل جفنيها وجسدها، فهي لم تنم طيلة هذه الأيام، لكن يبدو أن جسدها غلبها هذه المرة وجعلها تغرق في سُباتٍ عميق، حاولت الاعتدال في جلستها، ثم فركت عينيها لتمحي آثار النُعاس المُترصبة أسفل جفنيها...

هندمت خصلات شعرها ثم التقطت حجابها المجاور لها لتضعه على شعرها قبل أن تترك الحجرة، التقطت هاتفها الذي كان على الطاولة بأعينٍ ناعسة رمقت معها الشاشة بحاجبين مُقطبتين...

اتسعت حدقتيها في ذهولٍ ما إن أدركت أن الساعة قد تخطت الثانية بعد الظُهر، فهي لا تعلم كيف نامت هذه المدة...

أغلقت هاتفها ووضعته مجددًا على الطاولة المجاورة للفراش ثم تركت الحُجرة بخطواتٍ هادئة وأعين تتلفت في كل مكان، تحركت بضع خطواتٍ لتستشعر الهدوء من حولها مما أرسل إليها إشارة أن عدنان قد ترك المنزل وكذلك غادة، فهي تعلم أن اليوم هو حفل توقيع كتابها الأول...

استغلت الوضع وطفقت تتحرك بالمنزل بأريحية حتى لمحت ظلال الحُراس المتكاثرة في كل مكانٍ حتى يمنعانها من ترك المنزل، لكنها لن تترك المنزل بدون شقيقتها....

لهذا السبب عزِمت على الذهاب إلى شقيقتها وتنفيذ خطة أخرى، حتى تنتهي من هذا المكان نهائيًا وتنعم بحياةٍ تليق بها هي وشقيقتها...

———————————————

بعد أن اطمأنت على شقيقتها وشاركتها تناول الطعام كما تفعل يوميًا بالفترة الأخيرة، عادت مجددًا إلى حُجرتها خاصة هذا الفِراش الذي شهِد على جميع تقلباتها المزاجية ومعاناتها منذ أتت هذا المنزل...

هذه المرة لم يكن البُكاء يُغرق وجهها والحُزن يعتمر قلبها، فكانت ملامحها عادية باهتة داخلها حجارة تطبق على أنفاسها لكنها تتجاهلها كي تواصل المواجهة والمثابرة كما تفعل دائمًا..

تنهدت بعُمقٍ ثم جذبت هاتفها لتتفقده وتملأ هذا الفراغ قبل أن يُسيطر عليها عقلها ويجعلها تبكي مجددًا، ما إن فتحت الهاتف حتى وجدت أمامها العديد من الصور لهذه التي تُدعى غادة وهي توّقع على كتابها بحفلة ترويج كبيرة يحضرها العديد من الأشخاص...

لا تنكر أنها شعرت ببعض الغيرة، لأنها ترى حُلمها يتحقق أمامها لكن لشخصٍ آخر تعلم جيدًا أنه لا يستحقه، والحقيقة أن هناك العديد من الذين يحظون بالمكانة العالية والشُهرة وهُم أشخاص لا يمتلكون أي نوعٍ من الُرقي والتهذيب...

مع كثرة الصوّر والمنشورات التي تكاد تجعلها تفيض من الغيظ، قررت أن تغلق الهاتف نهائيًا وألا تفتحه مُجددًا، فحقيقة أن هذا الهاتف تم اختراعه لتسهيل الحياة هي حقيقة كاذبة بالنسبة لها، فقطعة المعدن هذه كفيلة بتحطيم شخصٍ بأكمله...

أمسكت بدفترها وقلمها اللذان كانا أسفل الوسادة، ثم طفقت تخط بالقلم على صفحات الدفتر كي تكتب:

"سيأتي اليوم الذي أثبت فيه للجميع أنني لم أولد ليتم تجاهلي"

____

تحركت أناملها ببطءٍ حتى وصلت إلى تلك الحُجرة الداكنة التي أضحت تتردد عليها كثيرًا كي تطمئن على شقيقتها، ركعت على رُكبتيها وهذه المرة لم تكن معالمها قلقة أو غاضبة، بل كانت كالصخرة بجمودها وكأنها تعلم جيدًا ما الذي ستفعله وكيف ستُحرر شقيقتها..

وضعت أناملها بهدوءٍ على تلك الفتحة الصغيرة ثم طفقت تنادي بصوتٍ حانٍ:

-منة ... منة...

استمعت منة لحديثها فهرعت نحوها بسرعة بقلب يقرع بفرح، فشقيقتها هي الوحيدة التي تبث الأمل بداخلها وتُطمئنها بأن النجاة قريبة، ما إن توقفت منة أمام الفتحة الصغيرة حتى سألت بلهفة:

-كلمتي بابا ؟؟ ... قولتيله ييجي ؟؟

كانت حور قد وعدتها أنها ستُخبر والدهما كي يأتي وينتشلهما من هنا، لكنها الآن تشعر وكأن لسانها قد التصق بحلقها ولم يعد يستطيع الحديث، فكيف تُخبرها أن والدهما قد تخلّى عنهما ولا يُجب إتصالاتها ؟؟ كيف تُخبرها أن الذي تعلقت به كطوق نجاة يتركهما بتلك الطريقة ؟؟ هي لا تستطيع قول هذا لشقيقتها الصغيرة حتى لا تُصاب بألم الخُذلان، خاصة عندما يأتي من أقرب الناس إليها...

تحلّت بالصمت لوهلة حتى سألتها منة مجددًا بأملٍ جعل غصة تتكون داخلها وتجبر لسانها على إخفاء الحقيقة بتردد:

-أ.. أه كلمته

اتسعت حدقتا منة بلهفة وهي تسأل:

-وهو رد عليكي ؟؟

أومأت حور رأسها بكذبٍ قالت بعده لتؤكد حديثها دون أن يظهر عليها علامات الكذب:

-أيوة رد عليا ... و قالي إنه هييجي ياخدنا انهاردة ... بس اصبري شوية

شقت البسمة ثغر منة بعد أن استمعت إلى تلك الكلمات، فهي لا تُصدق أن النجاة قريبة، لذلك وضعت أناملها الصغيرة على تلك الفتحة لتتلاقى بأنامل حور التي استمعت إلى حديث شقيقتها المُحمل بالأمل وعدم التصديق:

-يعني بابا هييجي انهاردة !! ... و إحنا هنمشي من هنا!!

أومأت حور إيماءة بسيطة وداخلها دموع تُريد الانحدار، لكنها ستصمد كالعادة من أجل شقيقتها، ثبتت حدقتاها على حدقتا منة كي تُنهي الحديث معها ببعض الصرامة:

-أيوة هنمشي ... حتى لو بابا مجاش...

يجلس بهدوءٍ على مقعده الوثير يحتسي قهوته المعتادة ويتفقد الجهاز اللوحي الذي يعرض بعض الحسابات، فهو مُعتاد على تلك العادة منذ وطأت أقدامه أبواب التملك والسيطرة، وبعد أن أضحت حياته تتمثل في جمع المال مهما كانت الطريقة...

قطع خلوته صوت جرس الباب الذي كان يصدح بصوتٍ مُرتفع وبصورة همجية، لم يتحرك من مكانه لأنه يعلم أن الخادمة ستفتح الباب، لكن ما جعله ينتفض من موضعه هو رؤيته لأفراد الشرطة تقتحم المنزل وكأنها أتت لتقبض على أحد الجُناة...

ترك الجهاز اللوحي على الطاولة بجوار فنجان قهوته التي لم يُكملها بسبب اقتحام أفراد الشُرطة، تحرك أمامهم بقلب ينبض بخوفٍ خاصة عندما أخبرته الخادمة أن الشرطة تطلب رؤيته...

-إنت الأستاذ عدنان ؟..

قالها الضابط المدعو بطارق بصورة صارمة موجهة نحو عدنان الذي كاد وجهه يتحوّل إلى اللون الأصفر، فإذا اقتحمت الشُرطة منزله وقامت بالتفتيش داخله فحياته ستنتهي لا محالة، لكنه مع ذلك حاول الاختباء خلف سِتار الثبات وهو يتحدث مع الضابط حتى لا يستنبط كذبه:

-أيوة أنا يا حضرة الظابط .. هو في حاجة ؟؟

قالها ببرود وثقة أرغمت الضابط على تصديقه، لكن طارق تقدم نحوه بنظراته النارية التي وجهها أثناء قوله:

-إحنا جالنا بلاغ إن في واحدة مخطوفة هنا هي وأختها

ما إن استمع عدنان إلى تلك الجُملة حتى أدرك فورًا من السبب في هذا، فبالطبع هي من قامت بالإبلاغ عنه؛ ضم قبضته في غضبٍ أخفاه عن الضابط وهو يردف بحيرة زائفة حملت بعض الارتباك:

-مخطوفين إيه يا حضرة الظابط ... أنا رجل أعمال مُحترم، مش معقول هخطف بنتين عندي في فيلا زي دي

كان يُحاول إقناع الضابط حتى لا يقوم بتفتيش المنزل، لكن طارق لم ينجرف إلى تلك الأكاديب وسأله بحدة:

-البلاغ جالنا من هنا ... فمن فضلك تقول الحقيقة يإما هستخدم معاك إسلوب مش هيعجبك

كان طارق يتوّقع الخوف من عدنان لكن ما حدث أنه وجده يُقهقه قهقهة مازحة قال معها باستذكارٍ زائف:

-أاااه ... ده تلاقيها البت حور بنت أخوية .. أصلها بتحب تعمل مقالب، تلاقيها اتصلت بيكم عشان تهزر مش أكتر..

تقدم عدنان نحو الضابط ليُلطخ حديثه بالوُد أثناء قوله:

-معلش بقى يا حضرة الظابط ... أصلها من ساعة سفر أخوية وهي بتعمل كدة في الناس ... عايزة تملى فراغها بقى خصوصًا إنها اتخرجت

لم يبدو التصديق على ملامح طارق الذي بقي محافظًا على ثباته وإصراره أثناء قوله المُقرر:

-لو الكلام إللي بتقوله ده حقيقي ... يبقى خليها تيجي تقول الكلام ده بنفسها

إزدرد عدنان ريقه بارتباكٍ ولم يكن يعلم ماذا يفعل، لكنه أردف بصوتٍ مُتقطع مُستجيبًا لأوامر الضابط كي لا ينكشف أمره:

-أ أ .. أه .. طبعًا يا حضرة الظابط ... هـ..هخليها تيجي و تقول الكلام ده بنفسها... إديني بس ثانية

تركه عدنان وطفق يتحرك بأركان المنزل الفسيح وداخله نيران من الغضب، فكيف تجرؤ هذه على تسليمه للشرطة، لقد أقسم على تلقينها درسًا بعد أن ينتهي منهم أولًا ...

توقفت أقدامه أمام حور التي كانت تُراقب ما يحدث بقلب حمل معه الاضطراب وبعض اللهفة، لكن لهفتها اختفت وحلّ محلها الرُعب ما إن لمحت عدنان يقف أمامها بظله المهيب الذي جعلها ترتعد من الخوف خاصة نظراته النارية المصوَّبة نحوها مباشرة...

خفض جذعه بضعة أمتارٍ كي يُحدق بمُنتصف عينيها لتسمع فحيحه وصوته المُرعب وهو يقول:

-إطلعي دلوقتي للظابط وقولي إنِك كُنتِ بتعملي مقلب ... ولو معملتيش كدة أنا هقول للحارس يقتل أختِك قبل ما الشُرطة تلاقيها ... إنتِ فاهمة...!!

الفصل السادس (خُسارة)

"يُمكن لأي شخصٍ أن يتحمل الهزيمة .... لكن الخُسارة، لا يتحملها سوى الأقوياء"

آرادت أن تهتف بوجهه أو تدفعه بعيدًا عنها، لكن نظراته المُرعبة وتهديده لها بشقيقتها يجعل أقدامها تتصلبان على الأرض وضربات قلبها تنبض بذعر، بقيت تُحدق في عينيه ولا تنبس ببنت شفة، فقط نظرة الاشمئزاز هي ما كانت على وجهها حتى آعاد على مسامعها ما قاله وزاد من تهديده حتى ترضخ له وتسير أمامه....

حافظت على ثباتها رغم الدموع المكبوتة داخلها، فقد ظنُّت أن خطتها ستنجح، لكنها لم تكن تعلم أنه بهذه الحقارة...

أخذت نفسًا عميقًا وهي تستمع إلى صوت طارق الصارم:

-إنتِ حور ؟؟

آمات برأسها إيجابًا فسألها بنفس لكنته:

-الراجل ده يقربلك ؟؟

آشار على عدنان وهو يتحدث فرمقته بنظرة عابرة مليئة بالحقد لتجده يُهددها بنظراته كي تُخبر الضابط أنه عمها كما اتفق معها، آعادت بصرها نحو الضابط لتتقدم بضع خطواتٍ جعلتها تثب أمامه مباشرة، أما عن يدها، فكانت تحمل ورقة مطوية حاولت تخبأتها بين أناملها.... آعاد الضابط سؤاله للمرة الثانية فآجابته بصوتٍ واهنٍ مُتردد:

-أ .. أيوة ..يـ..يقربلي

-يقربلِك إيه ؟؟

سألها بصرامة فبقيت لبُرهة في حالة من الصمت قبل أن تُجيب:

-عـ...عمي

أخفضت رأسها وهي تواصل الحديث كما أجبرها:

-أنا أسفة ... أنا اتصلت بالغلط

زارته شُحنة من الغضب وهو يُحادثها:

-يعني البلاغ ده بلاغ كاذب ؟؟

أومأت رأسها وهي ترتعد بداخلها من الخوف، أما عن طارق فقد ازداد غضبه مما جعله يهتف بحدة:

-طب اتفضلي معانا يا أنسة حور ... مطلوب القبض عليكي بتُهمة ازعاج السُلطات

تقدم نحوها ليُكبل يديها بالأصفاد، بقيت هي في حالة من الثبات حتى وثب قبالتها مباشرة وأخرج الأصفاد من جعبته، ما إن إقتربت يديه من خاصتها حتى وجدها تُعطيه الورقة في الخفاء وتنظر له نظرة مغذاها أنها تطلب المساعدة...

وجه طارق بصره نحو تلك الورقة المطوية مع نظراتها الخائفة حتى قطعه صوت عدنان الذي كان يهتف بتوٌسل:

-خلاص يا حضرة الظابط إحنا آسفين .... وصدقني الموضوع مش هيتكرر تاني

أخفى طارق الورقة بين يديه وهو يلتفت نحو عُدنان ويُقرر إنهاء الأمر رغبة في معرفة الحقيقة:

-ماشي يا أستاذ عدنان ... بس لو الموضوع اتكرر أنا هضطر أعرضها على النيابة

وعده عدنان بألا يتكرر الأمر فرحل طارق هو وزُملاءه ثم تحركوا اتجاه سيارات الشُرطة استعدادًا للعودة مُجددًا...

-متولي ... متخليش حد يتحرك من هنا

قالها طارق بصرامة لأحد زُملاءه الذي شعر بالحيرة لوهلة لكنه نفذ التعليمات دون أن يتطرق للمزيد من الأسئلة، استقل طارق سيارة الشُرطة الخاصة به ثم أخرج الورقة المطوية من جيبه ليَرى ما بداخلها....

ما إن رحلت الشُرطة حتى تقدم نحوها عدنان بنظراتٍ أشعلت حواسها من شدة الرهبة، وثب أمامها مباشرة فلم تتزعزع هي وبقيت ثابتة كالصنم، فهي لم تعد تخشاه أبدًا، بل أضحت تحمل اتجاهه كمًا من المُقت يكفي لتحطيم مدينة بأكملها...

أمسكها من تلابيبها بيده الغليظة ليُقربها نحوه بحدة، قرَّب وجهه من أذنها ليهمس بفحيحٍ أشبه بفحيح الأفعى:

-الظاهر كدة إني كان لازم أحبسِك مع أختِك ... واتخلص منكم من زمان

أنهى حديثه وهو يدفعها بقوة حتى ارتطم جسدها بالأرض، آشار بعدها لحُراسه بأن ينتشلوها ويقوموا بسجنها بجوار شقيقتها حتى يأتي هذا المُشتري ويتخلص من كليهما ... كانت تُقاوم بكل ما أوتيت من قوة وهي تسبه وتهتف بهم لكنه لا يُعيرها أي انتباه ....

بقي الحُراس يدفعونها بقسوة حتى الحُجرة التي تقبع بها شقيقتها، فهي حُجرة مُظلمة لايدلفها ضوء الشمس حتى، فقط ضوء قليل يأتي من تلك الفتحة الصغيرة...

كانت منة تضم ركبتيها و تستند بظهرها على الحائط، فهي على هذا الوضع مُنذ أتت تلك الحُجرة المقيتة...

انتفض جسدها ما إن وجدت الباب يتم فتحه وشقيقتها تظهر أمامها ويتم دفعها داخل الحُجرة كما حدث معها بالضبط، اتسعت حدقتاها بقلقٍ ثم هرعت نحو شقيقتها لتساعدها على الوثوب وتستفسر عن حالها بهالاتِ من القلق:

-حور !! .. هو إيه إللي حصل ؟؟

طمأنتها حور وهي تثب من الأرض ثم تجلس برُكنٍ منزوٍ بجوار منة التي جلست هي الأخرى، ربتت حور على كتفها أثناء سؤالها الذي حمل أطنانًا من القلق:

-إنتِ كويسة ؟؟...

لاحظت حور ملابس شقيقتها المُتسخة وكذلك وجهها الباهت، ومع تلك الحالة المزرية وجدتها تومىء برأسها إيجابًا كي تُطمئن شقيقتها بأنها بخير، بعد فترة من الاطمئنان على بعضيهما سألت منة بفضولٍ يكاد يقتلها:

-إنتِ بتعملي هنا إيه ؟؟...

كان الذعر بادٍ على وجهها فطمأنتها حور:

-مش مهم هما ليه جابوني هنا ... المهم إني أبقى معاكي

بعد بُرهة من الصمت وتلك النظرات المُتبادلة بينهما، ترقرقت دمعة على وجنتي منة أثناء سؤالها:

-هـ...هما هيعملو فينا إيه ؟؟

انهمرت دموعها قطرة تلو الأخرى بعد أن أدلت هذا خوفًا مما سيحدث، فالخوف يقتلها كل يومٍ منذ أتت هذه الحُجرة، لاحظت حور خوفها فربتت مُجددًا على كتِف منة كي تُهديء من روعها رغم أن الخوف كان يلتهم أحراشها هي الآخرى، لكن الفرق أنها ارتدت قِناع الثبات حتى تستطيع حماية شقيقتها بكل ما أوتيت من قوة...

-متعيطيش ... إحنا خلاص هنمشي من هنا ... صدقيني .. شوية وهييجو

كانت تقصد الشُرطة بحديثها لكن منة لم تفهم مقصدها بصورة كاملة وواصلت البكاء حتى ضمتها حور وآحاطتها بذراعها لتبدأ التمسيد على خُصلات شعرها المُشعثة والتي عدلتها حور بتمسيدها الحانِ... بعد بُرهة من الصمت أردفت حور بسعادة غطت حُزنها حتى تُلطف من تلك الأجواء...

-على فكرة أنا خلصت الرواية..

ما إن أدلت تلك الجملة حتى ابتعدت عنها منة بسعادة تنطلي على وجهها أثناء قولها:

-بجد!!

أكدت حور على حديثها بابتسامة بسيطة على وجهها قالت بعدها:

-أه ... و غيرت اسمها كمان

ازدادت بسمة منة وهي تسأل بفضول:

-سمتيها إيه ؟

أرخت حور ظهرها للوراء مع تنهيدة عميقة خرجت من جوفها وهي تُجيب بحدقتين مُنصبتين على السقف:

-سميتها " ويبقى الأمل"

ازدادت بسمة منة ثم عاودت الالتصاق بحور لتُعرب لها عن إعجابها وسعادتها:

-حلو أوي ... و أحلى من الاسم القديم

وجهت بصرها أمامها كي تواصل الحديث بوعدٍ:

-لما أخرج من هنا هقرا الفصل ... وهخلي صحابي كلهم يقروه

آحاطتها حور بذراعها وهي تردف بنبرة تحمل بعض اليأس:

-مش مهم حد يقراه ... كفاية إنتِ

تنهدت مجددًا وقد بدأ الضيق يظهر على وجهها أثناء قولها:

-طالما محدش عايز يقرالي يبقى مش مهم ... أنا مبقاش فارق معايا حد غيرِك

أنهت حديثها بامتنانٍ جعل منة تشعر ببعض الحُزن اتجاهها، فشقيقتها موهوبة، لكن دائمًا ما يظلمها العالم رغم أنها تعامل الجميع بودٍ، وقلبها نقيٍ كالمياه، فربما نقاءها وطيبتها هما سبب تعرضها للظُلم في ذاك العالم...

بعد بُرهة أخرى من الصمت آرادت منة تلطيف الأجواء بقولها مستذكرة:

-فاكرة الأغنية إللي كنا بنغنيها وإحنا صُغيرين ؟؟

قطبت حور حاجبيها بتساؤلٍ لم تنبس معه ببنت شفة، أما عن منة فبدأت الغناء بصوتٍ خافتٍ ونبرة مرحة غطت شعورها بالقهر:

-كان في واحدة ست .. عندها اتناشر بنت ... يوم قالولها يا ماما، يا أجمل ابتسامة .. عايزين ناكل توت..

شاركتها حور الغناء بنفس لكنتها المرحة:

-عايزين ناكل توت

ثم بدأ الاثنان يُغنيان بسعادة وهما مُلتصقتان ببعضهما بعضًا وقد تناسا تلك المآسي التي تُحيطهما، فبقاءهما رفقة بعضهما يكفي لجعل الابتسامة تقسم وجهيهما مهما كانت الصِعاب...

انتفضت أجسادهما فجأة ليتوقفا بعدها عن الغناء وتعاود نظرات الخوف زيارتهما مجددًا، فماذا كانا يعتقدان ؟؟ ... هل يعتقدان أنهما يستطيعا نسيان هذا العذاب ؟؟...

انفتح باب الحُجرة فوثبت كلًا من حور ومنة من الأرض لتثب حور أمام منة التي اختبأت خلفها بخوفٍ من نظرات الحُراس اللذين اقتحموا الحُجرة...

-عايزين إيه ؟؟

قالتها حور بصوتٍ حادٍ وغاضب وهي تفرد ذراعيها حتى تختبيء منة خلفها، فهي لن تسمح لهم بأخذها مُجددًا...

آشار واحد من الحُراس بعينيه نحو منة ليتقدم نحوها اثنين من الحُراس بينما اختبأت منة أكثر خلف ظهر حور بخوفٍ يعتمر جسدها، ناهيك عن قلبها الذي لم يتوقف عن الارتعاد...

-ابعد عنها انت وهو ... ابعدو عنها بقولكم

هتفت حور بتلك الجُملة بنبرة صاخبة حادة حملت ما تكبته من الغضب، تجاهلها الحُراس في البداية وحاولوا مُجددًا الإقتراب نحو منة إلى أن ازداد غضب حور فانقضت على واحدٍ منهم وطفقت تركله بقدمها حتى تأوه الحارس من الألم...

جذبها الحارس الثالث من ثيابها وهو يسبها أبشع السُباب بينما كانت منة مُجهشة بالبُكاء خوفًا مما سيحدث، لم تتوقف حور عن المجادلة ودفع كلٍ من يقترب منها وكأنها دخلت نوبة هستيرية، ومع ازدياد نوبتها أخرج الحارس سلاحه من جعبته ووجهه نحو حور كي يُهددها:

-لو مبعدتيش عننا هفرغ السلاح في نفوخِك

حدقت حور بعينيه بصرامة وثباتٍ لم تعهدهما، فبقاءها هنا وسط هذا الكم من المعاناة جعل مشاعر الخوف داخلها تتبدد، وثبت أمام فوهة السلاح مباشرة وكأنها مُرحبة بالموت، رفعت رأسها بثقة واجهت بها الحارس وهي تقول:

-وأنا مش هسمح إنكم تاخدوها مني مرة تانية ... حتى لو هموت فيها

رد عليها الحارس وهو لا يزال مُحدقًا بعينيها:

-الريِس عايز واحدة فيكم ... يعني لو مأخدتهاش هي هاخدِك إنتِ

أخذت نفسًا عميقًا ثم أطلقته قبل أن توجه نظرة عابرة نحو منة التي كان البكاء يُغطي وجهها، آعادت نظرها نحو الحارس لتُخبره بصرامة:

-ماشي ... خدوني أنا

لاح الاعتراض على وجه منة وهي تحاول الاقتراب من حور لكن الحُراس يمنعونها، ومن كثرة خوفها وارتعاد جسدها لم تستطع مقاومتهم وتركتهم يُحيطون بشقيقتها ويقومون بتكبيل يديها ... التفتت حور برأسها نحو منة كي تُخبرها بطمأنينة :

-متخافيش يا منة... هبقى كويسة

لم تتوقف منة عن البكاء ومحاولاتها بالإقتراب من شقيقتها، لكن واحد من الحُراس قام بدفعها بقسوة داخل الحُجرة كي يُغلق الباب عليها مُجددًا، فبقيت هي تضرب الباب بكل ما تبقى لها من قوة، ولايزال صوتها يصرخ باسم شقيقتها خشية بأن يتسببوا لها بمكروهٍ أو يُفرقوها عنها، فهي لن تقدر على ابتعادها مجددًا ... ولا تعرف كيف سينتهي مصيرهما....

———————————————

عاد إلى سيارته يفتح تلك الورقة المطوية التي كانت تحتوي على بعض الكلمات بخطٍ مُنمق، اتسعت حدقتاه في صدمة وهو يقرأ تلك الرسالة المُستغيثة...

"أنا اسمي حور ... وأختي اسمها منة ... الراجل ده حابس أختي في أوضة وبيهددني بيها .... هو راجل مش كويس، أنا متأكدة"

مرر بصره على الورقة التي رُسم بها خريطة للمنزل بأكمله وتلك الحُجرة التي سُجنت بها شقيقتها، بل كان مكتوب أيضًا أن عدنان يرتكب العديد من الجرائم الخطيرة وأن الأدلة بحوزتها لكنها لا تستطيع تسليمها، والأغرب أنها دوَّنت بضع جرائم إحتار القانون بمعرفة صاحبها، لكنها تعرفه ومُستعد للإثبات لهم... ما إن قرأ تلك الكلمات حتى اغتابه الفضول حيال الأمر، يجب أن يفهم حقيقة ما يحدث داخل

هذا المنزل، فاللحظة التي رآى فيها حور استطاع معرفة نظرات الخوف التي يعرفها جيدًا، فهي تلك النظرات التي يراها ما إن يُحرر أي شخصٍ من مُختطفه ... نظرات الاستغاثة والانكسار.

خرج من شروده وتحديقه بالورقة على صوت إحدى زُملاءه من النافذة المفتوحة:

-طارق بيه ... نتحرك دلوقتي ؟

آعاد طارق طي الورقة كي يترجل من السيارة مع كلماته المُقررة التي نفت حديث زميله:

-لأ ... هندخل تاني ... بس المرادي مش بالأدب

____

بقي الحارسان يدفعانها إلى أن وطأت أقدامها حُجرة كبيرة تحمل لمحة من الكلاسيكية تُشبه تلك اللمحة التي تُغطي أركان المنزل، شعرت بيدهم الغليظة تجبرها على الركوع بخضوعٍ بجوار الفراش العريض الذي يقف أمامه عدنان...

إقترب نحوها بخطواتٍ تطرق على الأرض بفعل حذاءه الأسود اللامع، ما إن توقف قبالتها حتى ركع لمستواها وبقي يُحدق بنظراتها الصارمة ولمحة الغِل التي تُحيط بوجهها، فكانت نظراتها حادة كالصقر ونظراته باردة تحمل الكثير من معاني الاستخفاف...

قطع حرب النظرات هذه بحديثه:

-لما عرفت إن إنتِ إللي هيجيبوها قولتلهم هاتوها هنا ... أصلي عايز أتكلم معاها قبل ما تتباع

بقيت حور في حالة من الصمت رغم الصدمة التي حلُت عليها، فعن أي بيع يتحدث هذا ؟؟ ما إن طال صمتها حتى واصل عدنان الحديث بصوتٍ يحمل الاستفزاز:

-مصدومة كدة ليه .. متعرفيش إن أبوكي باعكم ليا ولا إيه ؟؟

كانت النيران تغلي بداخلها والدموع تكاد تُذرف من عينيها من تلك الحقيقة التي تتُلّى عليها، فهي لا تزال غير مُصدقة أن والدها يفعل هذا ... كادت تنفجر بالبكاء لكنها تماسكت قدر الإمكان حتى لا يظهر ضعفها أمامه، فهي ستنتهي من كل هذا عما قريب...

وثب عدنان من الأرض ليُخرج غليونه ويقوم بإشعاله ثم أخذ منه نفسًا عميقًا وأطلقه على هيئة أدخنة كثيفة قبل أن يواصل الحديث بدهاء:

-أبوكي كان موظف في شركة من شركاتي ... بس كان غبي، غِلط غلطة خليته يخسر فلوسه كلها ويبقى مديون مع طوب الأرض....

تجوُّل داخل الحُجرة وهو يواصل الحديث:

-كان قدامه إختيارين ... يإما يتسجن وبيته يتحجز عليه، وساعتها بناته هيترمو في الشارع لكلاب السكك ... يإما يهرب ويرمي كل ده ورا ضهره ... بس ساعتها هيهرب لوحده لأنه مش معاه فلوس عشان يهربكم معاه ... فبردو كُنتم هتترمو لكلاب السكك

توقف أمامه ليزيد من دهاءه ويتحدث:

-وقتها أنا اتدخلت ... قولتله إني هخليه يسافر وأديله فلوس يستقر بيها في دولة تانية ... وإن بناته هيكونو تحت رعايتي ... بس بشرط إنه يقطع علاقته بيهم ... أصل أنا بردو مش هخلي واحد مُجرم يتواصل معايا...

واصل السير أمام حور التي كادت تنفجر بأية لحظة....

-فضلت أضغط عليه لغاية ما وافق في الآخر .... أصله غبي، كان فاكر إن بناته هيعيشو معايا بقيت حياتهم ... مكنش يعرف إني هسترزق منهم

أطبقت على شفتيها بغضب لكنها لا تزال تُحافظ على ثباتها حتى ينتهي كل هذا، وجدته يركع على رُكبتيه ليرسم بسمة شيطانية على ثغره تبعها حديثه:

-كُنت هستنى لغاية ما أختِك تخلص دراستها، بس إنتو إللي اختارتم و عملتو مشاكل ... عشان كدة كل ده هينتهي قُريب ... وإنتِ أول واحدة هتمشي من هنا_

قطع حديثه صوت صافرة الشُرطة التي بدأ طنينها يتغلغل في كل مكان، وفي أقل من ثانية تبدل مُكره إلى حالة من الذعر بدت واضحة على وجهه مما جعل حور تطلق قهقهة ساخرة وكأنها استمعت إلى دعابة ما ... إمتزج صوتها بالمُكر أثناء حديثها:

-الظاهر إن إللي هيمشي مش إحنا....

واصلت الضحك بسخرية جعلت الدماء تتدفق بعروقه وهو يرمقها بشرٍ:

-إنتِ عملتي إيه ... عملتي إيه إنطقي

قالها وهو يجذب حجابها بقسوة ويُحرك رأسها حتى كاد يخلع حجابها، كبتت حور تأوهها كي تُجيبه بثباتٍ ومُكرٍ لم تعتاده إلا بسببه:

-عملت إللي لازم يتعمل ... خدعتك زي ما إنت خدعت بابا

إزداد الغضب داخل عدنان مما جعله يسبها بأعلى ما لديه ويدفع رأسها بكل قوته حتى ارتطمت بحافة الفراش وبدأت الدماء تسيل منها، وعلى الرغم من هذا لم تُصدر حور أي من أصوات الألم أو حتى البُكاء...

أمسكها عدنان من حجابها مجددًا ودفعها مجددًا دفعة قوية نحو حافة الفراش التي امتلاءت بدماءها، فقد كان يُفرغ شُحنة غضبه وينتقم مما فعلته به تلك الضعيفة من وجهة نظره ... فمن استخف بها أضحت الآن السبب بنهايته...

تركها عدنان ملقية على الأرض والدماء تسيل من رأسها بغزارة ... وثب بعدها من الأرض عازمًا على ترك الحُجرة والهرب بأسرع ما يُمكن ...ولكن يجب عليه أن يطمس الأدلة أولًا...

_____

اقتحمت الشرطة المنزل للمرة الثانية، لكن هذه المرة كانت تعلم وجهتها وتعلم ما عليها فعله، هرعت الخادمات من أماكنهن يرفعن أيديهن بخوفٍ لعل الشُرطة ستهم بإلقاء القبض عليهن، لكن الحقيقة أن الشُرطة لم تُعرهن أي انتباه وواصلت التوُغل أكثر وفقًا لتعليمات طارق الذي كان يُشهر بسلاحه أمامه ويأمر زُملاءه بالبحث عن الفتاة وشقيقتها...

لحُسن الحظ لم تكن غادة بالمنزل الآن، فهذا اليوم تقضيه مع والدتها التي انفصلت عن والدها وتزوجت من رجلٍ آخر، فإذا كانت متواجدة في ظل تلك الظروف، فربما ستنهار ويأتيها نوبة هستيرية من الخوف، فقد أصبح المكان الآن مُقتظًا بالهِتاف وصياح الشُرطة التي تركض بكل مكانٍ وتُنادي على عدنان وتبحث عن الفتاتين...

أما بالنسبة لعدنان فكان داخل المكتب الخاص به بعد أن أحاطت الشُرطة منزله، كانت ضربات قلبه تنبض بسرعة ويداه ترتجفان وهو يجمع الأوراق كي يُمزقها حتى لا تعثر الشُرطة على أي دليل، لكن مع الأسف، ليس كل ما يشتهيه المرء يُدركه، فسرعان ما وجد باب الحُجرة ينفتح بغوغائية جعلت جسده ينتفض ... وجد أمامه طارق يُحدجه بنظراتٍ مليئة بالحِقد ويُشهر سلاحه على وجه عدنان مباشرة...

-سيب إللي في إيدَك يا أستاذ عدنان ... مطلوب القبض عليك...

على جهة أخرى كانت منة لاتزال داخل الزنزانة تضرب الباب بكلتا يديها اللتان تحوُلتا للون الأحمر الذي تماشى مع لون وجهها من كثرة البكاء، كانت تصرخ بأعلى صوتٍ لها بين دموعها..

-حـــور ... يا حـــور ... إفتحو الباب...

واصلت الضرب على الباب وركله بقدميها حتى استمع إليها واحد من الضُباط المُنتشرين بأركان المنزل، آشار هذا الضابط لزميله حتى يأتي ويُساعده بفتح الباب ...

-حد هنا ؟...

قالها الضابط وهو يطرق بضع طرقاتٍ على الباب، بعثت كلماته بعض الأمل داخل منة فهدأت من روعها وهي تتوُسل له:

-أيوة .. حد يفتحلي ... لو سمحتو افتحولي...

كانت الدموع تغرق وجهها فعلِم الضابط فورًا أنها من الفتاتين اللتين يبحثا عنهما، أخبرها أن تبتعد عن الباب كي يطلق رصاصة من سلاحه ساعدت على فتحت الباب رغم أن صديدها أوقد انقباضة بقلب منة...

ما إن فُتح الباب ولاحظت منة أفراد الشُرطة أمامها حتى استنتجت أن الأمر قد انتهى، وقد تم تحريرهما أخيرًا، لكنها تجاهلتهم وركضت بسرعة أمامهم رغبة في معرفة أين ذهبت شقيقتها، فقد كان قلبها ينبض بهلعٍ عليها...

مع كل خطوة تتقدمها ولا تجد بها شقيقتها كان خوفها يزداد أكثر فأكثر .... حيث كانت الدموع تنهمر على وجهها وهي تركض في كل مكانٍ حتى خرجت من المنزل بأكمله...

وجدت سيارات الشُرطة في كل مُكان ولكن من بين هذه السيارات كانت توجد سيارة أخرى جعلت منة تركض بهلع إلى أن توقفت أمام تلك السيارة مباشرة كي تطلق صرخة امتزجت بدموعها وكادت تُحطم بناية بأكملها.... !!

الفصل السابع (ويبقى الأمل)

"مهما ضاقت بك الحياة، وتكالبت عليك الأهوال، لا تتوقف أبدًا بمُنتصف الطريق ... فالأمل آتٍ، الآن ... أو فيما بعد"

دقات قلبها تتسارع كالبرق مع دموعها التي انهمرت بغزارة حتى ظنت أنها ستهوي على الأرض، ارتجفت أطراف جسدها كلما تقدمت نحو هذه السيارة وهذا الفراش الأبيض الذي ترقد عليه شقيقتها ... لكنها ... مغطاة بالكامل وبُقعة كبيرة من الدماء تملأ رأسها وتملأ هذا الغطاء الأبيض...

توقفت أقدامها أمام شقيقتها الراقدة تتحسس يدها الباردة كالثلج وتحاول تدفئتها لعلها بتلك الحركة ستُعيدها للحياة، تكاثرت الدموع على وجنتها حتى وجدت قدميها تهويا على الأرض كمادة رخوة، فحتى جسدها لم يستطع الصمود أكثر من هذا...

كان عقلها يرفض ما يحدث وشفتاها تنطقان بجملة واحدة ألا وهي " لا .. هذا لم يحدث ... شقيقتي لاتزال حيا، لاتزال بجواري .. لا يُمكن أن ترحل بهذه البساطة ... "

أخفضت جذعها لتتساقط دموعها الساخنة على يد شقيقتها الباردة، حاول الأطباء إبعادها لكنها آبت التحرك حتى سمحوا لها بدلوف السيارة والبقاء قليلًا بجوار جُثة شقيقتها قبل أن يتحركوا، فهذا كان بُناءًا على أوامر طارق الذي انفطر قلبه من أجلها ...

-متسبنيش يا حور ... أنا محتجاكي ... متسبنيش لوحدي

هتفت بتلك الكلمات بين شهقاتها ودموعها المتكاثرة والتي جعلتها تحتضن كف شقيقتها وتتمسك بها كما لو كانت والدتها، فهي مُنذ وفاة والدتها وهي تعتبر شقيقتها كل ما تملك بتلك الحياة، منذ أن تخلُّى والدهما عنهما وهي تحتمي بظلها ولا تتخيل حياتها بدونها .. لا تتخيل حياتها وحيدة في مواجهة هذه الحياة الصعبة...

بقيت مُتصلبة أمام جُثة شقيقتها وتلك الذكريات تتبادر إلى ذهنها مما جعل حسرتها تبلغ عِنان السماء...

-عايزاكي تركزي في الدرس وتذاكري كويس ... وإن شاء الله هتبقي مهندسة قد الدنيا

-خلاص بقى خَلي قلبِك أبيض ... مكَنتش كلمة يعني قولتها من غير قصد

-إنتِ أهم بالنسبالي من أي واحدة أعرفها ... ولازم نفضل مع بعض عشان خاطر بابا وماما الله يرحمها

-روايتي مش أهم من مُستقبلِك .. بعدين إنتِ لما تبقي مهندسة وتشتغلي في مكان كبير هترُديهُملي

-أيوة هنمشي .. حتى لو بابا مجاش

ثم تذكرت وهُما يُغنيان تلك الأغنية داخل هذا المكان المقيت، فهي لم تكن تعلم أن تلك كانت آخر أغنية تُغنيها مع شقيقتها، شقيقتها التي لن تراها ولن تسمع صوتها مُجددًا ...

انتهت ذكرياتها مع آخر جُملة قالتها حور قبل أن تتركها..

-متخافيش يا منة ... هبقى كويسة

انخرطت بالبكاء أكثر وهي لا تزال تحتضن كفها وتأبى تركه، كانت تتحدث بصوتٍ خافتٍ مُتلجلج:

-كل حاجة خلصت يا حور ... كل حاجة خلصت

زادت دموعها أكثر حتى شعرت وكأن مقتليها سينبجسان من محجريهما خاصة مع وجهها الذي تحوَّل إلى اللون الأحمر وحدقتيها اللتان حدقتا بتلك القلادة التي أعطتها

حور إياها وأمسكتها هي بأناملها لعل رائحة شقيقتها لاتزال بها، تدخل الأطباء في تلك اللحظة حتى تبتعد عن جسد شقيقتها كي يتم نقلها إلى المشرحة، فكان الطبيب ينزعها بقوة وهي تأبى التحرك وتواصل الصُراخ والبكاء حتى تكاثر الأطباء عليها وأبعدوها برفق كي تتحرك السيارة بعدها وتبقى منة وحدها بمُنتصف الطريق لا تتوقف عن الصُراخ والبكاء حتى إقترب طارق نحوها ما إن وجدها تفقد اتزانها وتغيب عن الوعي من شدة الصدمة...

———————————————

مرُت أيامًا وأسابيعًا على تلك الواقعة، وها قد استعادت منة جُزءًا بسيطًا من عافيتها كي تستطيع الوثوب أمام هذا الجمع العريض من الأشخاص والصحفيين المُكتظين داخل تلك المحكمة العريضة ... فبالفترة الأخيرة، انتشرت قصة إختطاف هذين الفتاتين وقتل واحدة منهما على يد هذا الحقير الذي ادعى الرزانة أمام الجميع ... ها هو يتلقى عقابه أمام هذا الجمع العريض من الناس الذين يسبونه ويتمنوا له التهلكة...

أما عن منة، فكانت تقف أمام القاضي بملامح باهتة وجسدٍ هزيلٍ إجتمع مع ملابس سوداء داكنة، كانت تدلي شهادتها أمام القاضي وتؤكد على ما عانته هي وشقيقتها بسبب هذا الأرعن، كما أثبتت الأدلة أنه تسبب بمقتل فتاة في رعيان شبابها، ناهيك عن أعماله الفاسدة بتجارة الأعضاء ... أي أن مُستقبله مُنتهٍ في جميع الأحوال...

بعد أن أنهت منة شهادتها عادت إلى حيث يجلس الضابط طارق الذي كان مسؤولُ عن القضية ويعدها أن تسترد حقها...

"أعلنت المحكمة حضوريًا ... على مصادرة أملاك المُتهم " عدنان لُطفي المحلاوي " مع دفع تعويض قدره مليون جنيه للأنسة منة عطية التُهامي ... ثم إحالة أوراقه لفضيلة المُفتي ... رُفعت الجلسة"

وهكذا انتهى الحُكم وأخذت العدالة مجراها كما يجب أن يكون، فها قد تخلصوا من ذاك المُجرم إلى الأبد....

———————————————

بعد مرور أربعة أشهر...

لايزال الأسود يُغطي ملابسها ووجهها الباهت رغم مرور الأيام ... كانت تجلس أمام طاولة خشبية افترشت عليها كُتبها المدرسية، فإمتحاناتها إقتربت للغاية ويجب أن تُذاكر بجُهدٍ حتى لا تُخيب ظن شقيقتها...

لكن عقلها لم يسمح لها بالشعور بالراحة، فمازالت تلك الذكريات اللعينة تتدفق إلى ذهنها وتمنعها من مواصلة دروسها، فكلما تهم بقرآة معلومة يقوم عقلها بطرد تلك المعلومة مهما كانت سهلة الفِهم...

يأست من المحاولة وطفق الصُداع ينهش عقلها حتى تركت القلم بغضب على الطاولة وقررت أن تُريِح عقلها قليلًا وتستلقي على الفِراش، أو بالمعنى الأدق، ستجد دموعها تنهمر ككل يومٍ، وككل مرة تتذكر فيها أنها وحيدة ولا أحد جوارها...

أسندت ظهرها على الحائط المجاور للفراش لتضم ركبتيها وتحاول الاسترخاء قدر الإمكان، فبخلاف شعورها بالوحدة ومشاهدتها لشقيقتها وهي تحتضر ... أتت تلك السنة الدراسية لتُضيف همومًا على همومها، فهذه الحياة ليست عادلة كما أخبرتها حور بالضبط ... هذه الحياة تضغط علينا حتى نُصاب بالجنون أو حتى نخضع للاستسلام...

فتحت هاتفها الذي تركته لفترة طويلة منذ وفاة شقيقتها، فهي لن تسمح بقطعة المعدن هذه أن تُضيِّع وقتها الثمين وتشغلها عن المذاكرة ... لكن هذه المرة، كانت ترغب برؤية صور شقيقتها لعلها تسترجع أحاديثها وتشجيعها الدائم لها ... فربما هذا التشجيع يُساعدها على المذاكرة...

ما إن فتحت الهاتف حتى تبادر إلى ذهنها فكرة ربما تستطيع من خلالها التعبير عما بداخلها، أو حتى إخبار الجميع بحقيقة هذه الحياة لربما تُشجعهم هي بدورها...

لذلك فتحت إحدى وسائل التواصل الإجتماعي وطفقت تدوِّن أي كلمة تتبادر إلى ذهنها...

"أنا منة ... لا أحد يعلمني بهذا العالم، وهذا لا يُهم، فأنا لا أركض وراء الشُهرة، ولا أمتلك مواهب تجعل الجميع يتهاتف باسمي ... فالحقيقة أنني فقدت كل ما أملكه ... ولا أعلم حتى لما فقدته، فأنا بحياتي لم أؤذي مخلوقًا، ولم أرتكب ذنبًا لأعاقب عليه .... أخبرتني شقيقتي ذات مرة، أن الانسان دائمًا ما يتعرض للإختبارات، ومهما كانت تلك الإختبارات صعبة، فهو مجبور على المواجهة...

مثلها بالضبط ... شقيقتي حور ... فهي أول من كان يُشجعني، وأول من كان يدعمني حتى ولو اتفق العالم ضدي ... كم كُنت أتمنى أن تضحى من المشاهير ... فهي ماهرة وموهوبة، تتحدث بلسان الجميع، وتسعى لإضفاء البسمة على الوجوه من خلال كتابتها رغم ما تعانيه من الحياة ... فرغم ما تفعله من مجهود بأعمالها، لا تتلقى أي من التشجيع .... ومع كل هذا لم تستسلم ولو للحظة واحدة ... بقيت تكتب وتكتب حتى آخر نفسٍ بعُمرها...

لقد توُفيت حور من أجلي، ومن أجل معاقبة مُجرمٍ قتل مِئات الأطفال ... توفيُت لأنها تُدافع عن الحق، ولا ترضخ للاستسلام، بل ترفع رأسها أمام الحياة وتُخبرها أنها الأقوة ... وأنها الفائزة بتلك المعركة ... لكن الحياة تصفعها وتزهق روحها بقسوة ... فلم يُساعدها أحد ولم تطلب هي المساعدة، حتى وإن لم تشتهر أعمالها ولم يقرأ لها أحد ... ستظل كاتبتي المُفضلة ... وستظل بطلتي"

نشرت هذا المنشور على وسائل التواصل الإجتماعي، ثم أغلقت الهاتف، وقد شعرت لوهلة أن شُحنة من التحفيز تدفعها مُجددًا لاستكمال دروسها؛ وثبت من الفِراش بعزيمة ثم عادت إلى مكتبها وعاودت المذاكرة بجدٍ وعقلٍ مُتفهم...

بقيت تدرس بجدية لبضع ساعات قطعها صوت هاتفها الذي لم يتوقف عن إصدار التنتنات ... ومن كثرة تلك الأصوات التي أصدرها الهاتف، تركت قلمها وأمسكت هاتفها بغضب على أن تضعه على وضعية الصامت كي يكُف عن إزعاجها..

لكنها ما إن فتحت الهاتف حتى اتسعت حدقتيها في صدمة كادت تجعل الطبول تقرع داخل قلبها، فالمنشور الذي نشرته زادت نسبة مشاهدته حتى كاد يتصدر الترند، خفق قلبها بسرعة وهي تفتح منشورها وتجد العديد من التعليقات التي تُطالب بقرآة ما كتبته هذه البطلة، بل ويقومون أيضًا بنشر منشورها وتسمية حور بالبطلة التي

ضحت من أجل القبض على مُجرم، ناهيك عن الجريمة التي انتشرت الفترة الأخيرة والتي كان بطلها عدنان...

ارتسمت بسمة واسعة على ثغر منة جعلتها تعض على شفتها السُفلية ثم ترسل الحِساب الخاص بشقيقتها بين التعليقات ... ارتمت بعدهاعلى الفراش بسعادة تعتمر جنباتها ورغبة عارمة بالصياح بكل ما تكنيه بداخلها، فشقيقتها الآن أضحى الجميع يعرفها ... وبهذه البساطة... !!

———————————————

كان الهاتف مفتوح بين يديها وعينيها مُنصبتان على تلك التي أضحت مشهورة بليلة وضحاها، تجلس على فراشها والعديد من الصناديق حولها كما منزلها الفسيح الذي أضحى خاليًا، فالشُرطة ستحجز على المنزل ويجب عليها أن تضب أمتعتها لتنتقل إلى منزل والدتها وزوج والدتها الذي تمقته...

تتطاير النيران من عينيها وهي تُشاهد هذا المنشور الذي يتحدث عن حور، كانت الغيرة تلتهم أحراشها كلما قرأت تعليقًا يمدح تلك التي تسرق منها سُلم المجد، فهي ترى الجميع الآن يتحدث عن تلك الفتاة ولا يُعير أعمالها أي إعتبارًا، وكأن الساحة أصبحت لتلك المدعوة بحور وحدها...

تغلبت عليها غيرتها وجعلتها تخترق تلك التعليقات لتُخبر الجميع أن شقيقة حور هي فتاة كاذبة، وأن ما تقوله عن شقيقتها هو محض هُراءٍ ليس إلا، فأعمال هذه التي تُدعى حور لا ترتقي لكونها أعمالًا أدبية من الأساس...

كانت تظن أنها بتلك الطريقة ستشوِّه صورتها وتجعل الجميع يتوقف عن التحدث عنها، لكن ما حدث فاق توقعاتها، فلم يُصدقها أحد، بل وبدأو حتى بنهرها على تحدثها بتلك الطريقة عن فتاة متوفاة ... لم تتوقف غادة عند حدها وردت على جميع من سبها بطريقة فظة جعلتهم يمقتونها أكثر ويلغون متابعتها ... فطريقتها الفظة أثبتت لهم أنها فتاة حقودة، لا تمتلك صِفاتٍ تؤهلها لكونها بهذه الشُهرة...

إزداد غضب غادة وهي ترى المزيد من الرسائل المُرسلة إليها والتي تسبها وتسب أعمالها، فيبدو أن الجميع بدأ يقرأ ما تكتبه حور من كتاباتٍ عفيفة خالية من تلك المشاهد السيئة التي تكتبها غادة بكثرة ... ما إن أدركوا روعة كتاباتها حتى ترك جميعهم ما تكتبه غادة وألغوا متابعتها كذلك، فكأن حور أضحت البداية لعودة الأدب إلى المجد مجددًا...

ألقت غادة هاتفها بقوة على الأرض حتى تهشم إلى عدة أجزاء، بقيت تُزمجر بغضبٍ وكأن النيران ستطُلق من جوفها، وما هي إلا بضع ثوانٍ حتى انهمرت بالبكاء وكأن تلك كانت أول مرة تبكي بها، قطع وصلة بكاءها صوت والدتها التي كانت تناديها حتى تترك المنزل وتأتي معها؛ جففت دموعها بسرعة ثم تركت فراشها وفمها لا يزال يتوّعد لتلك التي سرقت والدها مُسبقًا، والآن تسرق مجدها...

مرّت العديد من الأيام الأخرى التي كانت منة فيهم تنهمك بمذاكرتها وتُشاهد التعليقات الموجهة على كتابات شقيقتها ببسمة على ثغرها، فكلما قرأت المزيد من الإطراءات كلما زادت سعادتها وواصلت المذاكرة بجُهد...

هذا اليوم اتصلت بها إحدى دوّر النشر لتقطع ساعة مذاكرتها وتُجيب عليها بصدرٍ رحب...

-أيوة أنا منة أختها...

شقت بسمة عريضة ثغرها كادت تجعلها تطير من الفرح وهي تقول بصوتٍ مُرتجفٍ لا يُصدق:

-أ..أيوة طبعًا موافقة...

مرّت العديد من الشهور الأخرى وها هي غادة تجلس بمنزلٍ آخر بعد أن انعزلت عن الجميع وتركت مجال الكتابة للأبد، فلا أحد أصبح يقرأ لها من الأساس ... كانت تضم ركبتيها وتشاهد بغلٍ تلك الحفلة الأدبية المشهورة والتي كانت ستُشارك بها وتفوز بالغِش كما تفعل دائمًا ... ترى منة وسط الحضور والسعادة تعتمر وجهها بعد أن نجحت بطبع إحدى أعمال شقيقتها والتي حازت على إعجاب العديد من الأشخاص، حتى أنها على وشك أن يتم تحوّيلها لعملٍ سينمائي...

-يُعلن أعضاء اللجنة الكِرام ... عن منح جائزة ساويرس للأعمال الأدبية .. للكاتبة حور عطية ... والتي سيتسلمها شقيقتها، منة عطية

انتهى المُذيع من إلقاء تلك الكلمات فوثبت منة بفرحة عارمة لتتجه نحو لجنة الحُكام وتُصافحهم قبل أن تتسلم الجائزة مع شهادة التقدير والمبلغ المالي المُرفق معها، ثم يلتقط الصحفيون العديد من الصور لها بابتسامتها المشرقة رغم أن بداخلها كانت ترغب بمجيء شقيقتها ورؤية ما يحدث....

———————————————

بعد مرور ثلاث سنوات...

تجلس على تلك التُربة الخِصبة أمام صخرة رابضة لا حياة فيها رغم ما تُسببه من معاناة للذي يقف أمامها، فمن يقف أمامها يجد الذكريات تتدفق بذهنه وتجعله يبكي حتى ولو كان رغم إرادته، فها هي تجلس الآن بملابس سوداء كالعادة، ووجه أصبح ناضرًا مع مرور الأيام ... تحسست التُربة الرطبة بيدها وتلك الأزهار الذابلة ... فهذه كانت المرة الأولى لها بأن تأتي مكانًا كهذا بعد أن كان عقلها يرفض فكرة أنها رحلت ويرفض أن يأتي إلى هنا كي لا يصطدم بالحقيقة...

كانت تتحدث أمام الصخرة المنقوش عليها اسم " حور عطية " وأسفله تاريخ الميلاد والوفاة ، فهي قد ماتت بعُمر الرابعة والعشرون بعد أن سُرق شبابها بتلك الطريقة...

-وبس يا ستي ... قولتلهم إني موافقة وبدأو يعملو الفيلم ... مش هتصدقي بقى مين إللي هيبقى البطل...

واصلت الحديث بلهفة وكأنها تتحدث مع شقيقتها بالفعل، فلا دموع تترقرق على وجنتيها ولا حُزن يبدو على وجهها، فقط تتحدث وكأن شقيقتها لاتزال على قيد الحياة ...

-وبالنسبة بقى لغادة ... فهي اختفت تمامًا ... تقريبًا صفحتها اتقفلت، ومحدش بقى يتكلم عنها ... كلهم بقو يتكلمو عنِك ... وكمان عدنان اتنفذ فيه حُكم الإعدام ... يعني حقِك رجعلِك

أبعدت يدها عن تلك الصخرة وهي تواصل الحديث باطمئنان:

-الظابط إللي اسمه طارق خلاني أعيش معاه هو ومراته ... وبيعاملوني حلو أوي، كمان عندهم بنت صغيرة اسمها كنزي ... بنت عسولة أوي، بتيجي تلعب معايا وساعات تديني حاجة حلوة ... ومراته كمان بتعاملني زي بنتها....

تنهدت لتستكمل الحديث بسعادة أكثر رغم الألم الذي بداخلها:

-وفي حاجة كمان ... أنا دخلت هندسة وبقيت في سنة رابعة ... أو لسة هدخلها ... بس ان شاء الله هبقى مهندسة كبيرة زي ما إنتِ قولتي بالظبط

لم تعد تتحمل الصمود أكثر فوجدت رأسها ينخفض تلقائيًا لأسفل مع دموعها التي بدأت تتقاطر من عينيها دمعة تلو الأخرى، خرج صوتها خافتًا مُعتذرًا في تلك اللحظة:

-أنا أسفة عشان مكنتش باجي .... كان لسة عندي أمل إني ألاقيكي بتخبطي الباب وتقولي إنِك لسة عايشة ... وإن إللي فات ده كان تمثيل... أو حتى أصحى من النوم، وألاقي نفسي لسة في بيتنا، مع ماما وبابا .... و.. إنتِ ... بس مكنش في حاجة بتحصل

سرقت نفسًا عميقًا حاولت معه لملمة شِتات نفسها لتواصل الحديث بضيقٍ إختلف عن حديثها في البداية:

-بابا مظهرش من ساعتها ... ومعرفش إذا كان حتى لسة عايش ولا ميت ... ومبقتش عايزة أعرف

تهدمت حصونها في تلك اللحظة ووجدت دموعها تنهمر أكثر حتى بدأت بالبكاء أثناء قولها:

-كـ .. كنت عايزاكي تشوفي إن الناس بتحبِك .. كلهم بقو يحبوكي

حاولت تجفيف دموعها كي تستطيع المواصلة بصوتٍ مُنكسر أخرجت معه شيئًا ما من حقيبتها التي أتت بها:

-بُصي أنا جِبتلِك معايا إيه ... الجايزة بتاعتِك...

رسمت بسمة على وجهها حتى تتحدث بين دموعها المتقاطرة:

-الجايزة دي أنا أخدتها ... بس هي مش بتاعتي .. دي بتاعتِك إنتِ ... إنتِ إللي تستحقيها مش أنا

وضعت شهادة التقدير أمام تلك الصخرة الرابضة ثم أردفت آخر جُملة بضيقٍ قبل أن ترحل:

-أنا لازم أمشي دلوقتي ... هجيلِك تاني متخافيش ... وهحكيلِك كمان عن إللي بعمله في الجامعة ... إوعي تضايقي مني

أنهت حديثها ببسمة هادئة رغم الأنين والأوجاع التي كانت تتخلل صدرها، وثبت بعدها من تلك الرمال لتتحرك بعيدًا عن تلك البُقعة بأعينٍ لاتزال تُحدق بتلك الصخرة التي بقيت أمامها لساعاتٍ كانت تودُ أن تجعلهم أكثر، فهي تُريد البقاء جوار شقيقتها مهما كان مكانها ... لكنها رحلت على أمل أن تأتي مجددًا ... فشقيقتها لا توجد فقط أسفل هذه الثرى، هي توجد داخل قلبها، وداخل قلوب العديد من الأشخاص...

لوّحت لآخر مرة لتلك الصخرة قبل أن ترحل وتظهر تلك الشهادة التي وضعتها أمام الصخرة، والتي كانت تحمل رسالة شُكرٍ وتقدير للكاتبة حور ... عن عملها الرائع

" ويبقى الأمل " ....

الخاتمة

انتهت من سرد الحكاية أمام تلك الفتاة صاحبة العشرة أعوام، فهي لم تُخبرها عن اسم الفتاة صاحبة تلك الحكاية واكتفت بإخبارها باسماءٍ أخرى لأسبابٍ تحتفظ بها، كانت معالم الفتاة تنبض ببعض الضيق رغم أن نهاية الحكاية لم تكن بهذا السوء، ففي النهاية استطاعت حور أن تُحقق أحلامها وتُزرع أعمالها داخل العديد من القلوب...

قطعت الفتاة لمحة الصمت التي تبعت نهاية القصة بقولها الذي حمل شيئًا من الضيق :

-هي ليه ماتت في الآخر ؟؟

آجابتها والدتها بصوتٍ حانٍ حمل معه التبرير:

-عشان تساعد أختها...

تنهدت تنهيدة عميقة قبل أن تواصل الحديث بصوتٍ رخيم:

-الموت مكتوب علينا كلنا ... وهي ماتت عشان ده قدرها ... بس عارفة إيه إللي حصل ؟؟

رمقتها بعوالم جاهلة فواصلت والدتها الحديث:

-إللي حصل إنها فضلت عايشة حتى بعد ما ماتت... الناس كلها بقيت عارفاها، وده عشان هي عُمرها ما استسلمت ... فضلت تحارب حتى لو على حساب حياتها

قطبت الفتاة حاجبيها وهي تسأل:

-هي لو فضلت عايشة كانت هتنجح ؟؟

آجابت والدتها بنفس ذات النبرة الحنونة والتي تحمل القليل من الثقة:

-أكيد كانت هتنجح ... بس لو كانت استسلمت مكنش في حد هيعرفها...

وجهت بصرها للأمام وهي تواصل الحديث:

-صحيح هي ماتت ... بس أمل إنها تنجح كان لسة موجود ... عشان كدة وصلت في الآخر

وضعت يدها على كتِف ابنتها بحنانٍ حاولت إرشادها معه:

-إنتِ بقى عايزة تعيشي بطلة زيها ... ولا تستسلمي ومتوُصليش للي إنتِ عايزاه

لاحت العزيمة على وجه تلك الفتاة الصغيرة وهي تقول بثقة:

-لأ أنا عايزة أبقى زيها ... وكمان هشترك في المسابقة حتى لو خسرت فيها ... المهم إني هعمل الحاجة إللي أنا بحبها

ابتسمت والدتها بحبور على حديث تلك الصغيرة، ثم عانقتها وقبلت رأسها بحنانٍ بالغ قالت معه بتشجيع:

-وأنا واثقة إنِك هتنجحي، وهفضل أدعمِك لغاية آخر يوم في عُمري

اتسعت بسمة الفتاة ثم قبلُت وجنتا والدتها بحُب أردفت معه بامتنانٍ لما تفعله والدتها معها دائمًا:

-ميرسي يا مامي ... وإن شاء الله هبقى شاطرة في المدرسة لغاية ما أبقى مُهندسة زيِك كدة بالظبط

قهقهت والدتها قهقهة بسيطة على حديثها الذي أردفت بعده:

-ركزي الأول في المسابقة ... ونبقى نشوف موضوع مُهندسة ده بعدين

أومأت ابنتها بسعادة شعرت معها بأن حُصون فؤادها تُرمم مجددًا، فبعد أن كانت تشعر بالخُذلان والإحباط الدائم، أتت والدتها لتُخبرها أن جميعنا يشعر بتلك الأحاسيس، لكن من يستطيع مواجهتها هو فقط من يستطيع الوصول، حتى ولو تأخر وصوله ... فالأمل لا يزال موجود مهما إختفى صاحبه...

تحركت الفتاة بضع خطواتٍ لتعود إلى حُجرتها لكن والدتها نادتها:

-حور...

التفتت الفتاة المدعوة بحور نحو والدتها لتجدها تردف بابتسامة هادئة:

-تصبحي على خير

قالتها والدتها لتُقابلها حور ابنتها ببسمة هادئة ردت معها على حديث والدتها ثم هرعت إلى حُجرتها حتى تخلد إلى النوم، فما إن رحلّت حور حتى تهدمت حصون والدتها وأنكست رأسها لأسفل لترى تلك القلادة التي لم تنزعها عن رقبتها منذ فترة طويلة، فهي الشيء الوحيد الذي سيُذكرها بمن كان السبب بنجاتها ... وكان وسيبقى مثلها الأعلى مهما مرّت الأيام والسنوات...

(تمت بحمد الله)

البداية : 16/ 8/ 2023

النهاية : 2023/8/27